شكسبير

سيدان من فيرونا

ترجمة الدكتور

دار المعارف

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

سيدان من فيرونا

ترجمة

الدكتور عبد الحميد يونس

مراجعة

الدكتور **محمد عوض محمد**

الدكتورة **سهير القلماوى**

الطبعة الثالثة

دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع

مقدمة

عندما نريد أن نؤرخ هذه المسرحية، فإننا نواجه بصعوبات أكثر مما يجد الراغبون فى تأريخ مسرحيات شكسبير الأخرى. فقد ورد ذكر المسرحية فى بيان "مير Mere" لأول مرة عام ١٥٨٩، ومع ذلك فيكاد يجمع النقاد على أنها ألفت قبل ذلك على اختلاف فى تحقيق سنة معينة. ومهما يكن من شىء، فقد أوردوا عام ١٥٩١ وعام ١٥٩٤، ١٥٩٥ على سبيل الترجيح والاحتمال ، وهم فى ذلك لم يكتفوا بأن يقصوا أثر النسخة الأولى أو الطبعة الأولى، بل أفادوا من النتائج التى استخلصوها من الأسلوب والسياق، ومن الموازنة التى عقدوها بين هذه المسرحية وبين غيرها مما صدر عن شكسبير، وكان متفقًا معها فى النوع أو فى بعض الملامح والقسمات.

وتقودنا هذه الحقيقة إلى حقيقة تتصل بقوامها الفنى، إذ وجد النقاد فيها من التصحيف والتحريف والتقطيع، ومن ورود النثر فى مقدمة المشاهد، وعدم ذكر الملاحظات الخاصة بدخول الأشخاص وخروجهم فى الأصول التى استمدت منها الصورة الكاملة للمسرحية ما يكاد يقطع أيضًا بأنها من المحاولات الأولى للشاعر، ومنهم الذى زعم أنها ليست له.

ولا يمكن أن تكون له، فنسبها إلى غيره، ومنهم الذى رجح أن الأصل لم يكن كاملا، أو أنه كان نسخة خاصة بالإخراج والتمثيل، ولا يزال المتخصصون فى شعر شكسبير وفنه التمثيلى ، يختلفون فى أمر هذه المسرحية اختلافهم فى غيرها، ولكن الذى يعنينا هو أن نسجل، أن فيها من آثار العجلة والسهو والجهل بالجغرافيا والتاريخ أحيانًا، ما له نظائر فى المسرحيات الأخرى المنسوبة لشكسبير.

وأهم من هذا أن نشير إلى المصادر التى استقى منها الشاعر موضوعه. ولن نكون فى هذه الناحية أحسن حظًا لكثرة الجدل واختلاف الأحكام والنتائج، وحسبنا أن نضع أمام القارئ ما اجتمع النقاد عليه أو رجحوه، فان بعض الأحداث فى المسرحية يدل بذاته على أن شكسبير اطّلع أو اقتبس من قصة أسبانية مشهورة عن الراعية "فلسمينا Felismena" وقد ترجمت إلى الإنجليزية حوالى نهاية القرن السادس عشر، أى قبيل الفترة التى حددها النقاد تأريخًا لهذه المسرحية. ولعل شكسبير اطلع على مسرحية فى الموضوع عنوانها فلكس وفليومينا " Felix and

Philiomena" مثلت فى جرينتش عام ١٥٨٤، وترجع حوادث أخرى إلى قصة طويلة ألفها "باندلو Bandello" عن أبوللونيس وليللا. أما خروج "فالنتاين" من مدينة ميلان وخضوعه لقطاع الطريق، فأغلب الظن أنه مأخوذ من أركاديا التى صدرت عن سدنى.

والملاحظ أن شكسبير كان يضفى على مشاهده وشخوصه وحواره جواً مستمداً من عصر الملكة اليزابث الذى عاش فيه مهما كانت العقدة وعلى الرغم من السياق والأصول التى استقى منها، يضاف إلى ذلك، أن هذا العصر كان مغرمًا بالنمط الإيطالى، ولذلك تعد هذه المسرحية ملائمة لذوق العصر فى هذه الناحية، لأن الشاعر اختار موضوعًا إيطاليًا محببًا للنفوس وقتذاك، مع ما أشاعه فى تضاعيفها من المرح واللعب بالألفاظ.

وعلى الرغم من المشاهد غير الكاملة حينًا، ومن بعض الخلل فى التركيب والسياق وعدم الاحتفال بالدقة الجغرافية والتاريخية أحيانًا، فإن المسرحية لا تزال تحتفظ بما كان لها من إشراق، وما فيها من إثارة، وما فى حوارها من ومضات العاطفة والذكاء وما فى أحداثها من إيثار الفضائل وخصوصًا فضيلة الوفاء.

ولقد ترجمت هذه المسرحية إلى اللغة العربية منذ أكثر من خمسين سنة، أى أوائل هذا القرن، ومن الواجب أن نسجل هنا أن الأستاذ أحمد غلوش كان سباقاً إلى الفضل وأنه حاول فأحسن المحاولة، على أننى رجعت إلى نسخ متعددة وبذلت ما أستطيع من جهد فى التحقيق والموازنة والنقل، وكل ما أرجوه أن أكون قد وقفت فى أداء هذه المهمة.

الدكتور عبد الحميد يونس

أشخاص المسرحية

المناظر: فى ڤيرونا وميلان وغابة بالقرب من ميلان

Duke of Milan	**والد سلفيا**	**دوق ميلان**
Valentine	**السيدان** :	**فالنتين**
Proteus		**بروتيوس**
Antonio	**والد بروتيوس**	**أنطونيو**
Thurio	**منافس أحمق لفالنتين**	**ثوريو**
Eglamour	**وسيط سلفيا فى فرارها**	**إجلامور**
Speed	**خادم مهرج لفالنتين**	**سبيد**
Launce	**خادم مهرج لبروتيوس**	**لونس**
Panthino	**خادم أنطونيو**	**بانثنيو**
Host		**مضيف حيث تقيم جوليا**

Outlaws		**قطاع طريق مع ڤالنتين**
Julia	**بيبة بروتيوس**	**جوليا**
Silvia	**حبيبة ڤالنيتن**	**سلفيا**
Lucetta	**وصيفة جوليا**	**لوستا**
		خدم وموسيقيون

الفصل الأول

المنظر الأول

فيرونا: شارع بالقرب من دار جوليا، أشجار ومقعد فالنتين فى زى السفر:

بروتيوس

فالنتين: كف عن إغرائى ، يا حبيبى بروتيوس ، فإن للشباب المقيم عقلا ساذجا أبدًا.ولولا أن هواك يقيد أيامك النضرة بنظرات حبيبتك العفيفة لآثرت التشبث بصحبتك لتشهد عجائب الدنيا فى الخارج، على أن تقيم فى الوطن خاملا كسولا، وتفنى شبابك فى بطالة لا قوام لها ... ولكن، ما دمت تحب، فأبق على حبك وانعم به فذلك ما كنت أفعل لو أنى بدأت أحب.

بروتيوس هل أزمعت الرحيل؟ وادعاً إذا يا حبيبى فالنتين. أذكر صديقك بروتيوس كلما أبصرت شيئًا نادرًا قيمًا فى رحلتك...

ولتدع الله أن أقاسمك سعادتك كلما وقعت لك أحداث طيبة، وفى الخطر، إذا قدر الله وحاق بك الخطر، كل أمره إلى صلواتى فلسوف أقوم يا فالنتين بالصلاة لك نيابة عنك.

فالنتين: وعلى كتاب الحب فلتصل لنجاحي.

بروتيوس سأصلى من أجلك على كتاب أحبه.

فالنتين أى على قصة رقيقة لحب عميق، قصة الفتى لياندر[1] وكيف عبر الدردنيل[2].

---

[1]) فى الأساطير اليونانية قصة الحبيبين هيرو وليياندر. وكانت هيرو كاهنة فى معبد أفروديت على شاطئ الدردنيل أو "الهلسبونت" وكان لياندر يعيش فى آبيدوس على الشاطئ الآسيوى فكان يعبر المضيق لى ليزورها وغرق يومًا فألقت هيرو نفسها فى البحر حزنًا عليه. وصيغ حول القصة شعر قديم ومسرحية مارول بنيت عليها وقد سجلت عام ١٥٩٣ بعد وفاة مؤلفها واتخذ بعضهم هذا دليلا على أن مسرحية شكسبير هذه إنما ألفت فى تاريخ متأخر وكل ما اعتمدوا عليه هو أن شكسبير قد اطلع على مؤلف مارلو وهو مخطوط، وهو أمر طبيعى لأن الشاعرين قد عملا معًا فترة قبل عام ١٥٩٣.

بروتيوس : بل إن قصة عميقة لحب أعمق لأنه كان متماديًا لا يرعوى.

فالنتين : هذا حق، وأنت أيضًا تخوض غمار الحب

وإن لم تعبر الدردنيل قط.

بورتيوس : أخوض غمار الحب؟ لا تسخر منى.

فالنتين : كلا، لن أفعل، لأن ذلك لن يفيدك.

بروتيوس: ماذا؟

فالنتين: : لن يفيدك الحب شيئًا ، فما هو إلا شراء الاحتقار بالأنين، والنظرات اللطاف بتنهدات القلب الموجع، ولحظة نشوة زائلة بعشرات من الليالى كلها سهاد وضنى وضجر، وإذا قدر للمحب أن يفوز فقد يكون فوزه مشؤومًا ، وإذا خاب مسعاه فالعمل الشاق هو كل ما يخرج به ومهما تكن الحال فالحب حماقة تشترى بالفطنة، أو هو الفطنة قد هزمتها الحماقة.

بروتيوس : فأنت إذا بحجتك هذه ترانى أحمق؟

فالتنين : أنت إذاً ستثبت بأحوالك فيما أخشى صدق حجتى .

بروتيوس : إن الذى تسخر منه هو الحب ، وما أنا بالحب .

---

[2]) فى الأصل Hellespont وهو الاسم اليونانى القديم لمضيق الدردنيل، ويضرب المثل فى عبور، باقتحام الأهوال لكثرة التيار فيه وعنفه.

فالنتين: الحب مولاك، لأنه يسيطر عليك، والمرء الذى يستعبده أحمق إلى هذا الحد، أرى أنه غير جدير بأن يحسب عاقلا.

بروتيوس: ومع ذلك فالأدباء يقولون، كما تسكن الديدان النهمة أطيب الأكمام، فإن الحب النهم يعيش على أحسن الفطن.

فالنتين: الأدباء يقولون أيضًا، كما أن البرعم النامى يلتهمه الدود قبل أن يتفتح،كذلك الحال فى الحب فإن الفطنة الفتية اللينة تتحول إلى حماقة .. إنه يعصف بالبرعم ويفقده نضرته إبان ميعة صباه ، بل إبان التطلع الجميل إلى الأمل والمستقبل، ولكن ما لى أضيع وقتى فى نصحك، وأنت لرغبتك التى تكْلَف بها عبد مطيع. وداعًا مرة أخرى، فإن أبى على قارعة الطريق ينتظر قدومي، لكى يوانى وأنا أبحر من هناك[٣].

بروتيوس: : سأشيعك يا ڤالنتين إلى هناك.

فالنتين: : كلا يا صديقى بروتيوس فلنفترق الآن، فإذا بلغتُ ميلانو فدع رسائلك تنبئنى عن فوزك فى الحب، وعما يقع هنا من أخبار فى غياب صديقك.
وأنا كذلك سأوافيك برسائلى.

بروتيوس: : فلتكن السعادة كل السعادة من نصيبك فى ميلان.

فالنتين: وليكن لك مثلها فى أرض الوطن. وداعًا إذن. (يتعانقان ويذهب ڤالنتين فى طريقه)

بروتيوس: : إنه يسعى وراء المجد وأنا أسعى الحب، إنه يفارق أصدقاءه ليزيدهم رفعة، وأنا أترك نفسى وأصدقائى، وكل شيء فى سبيل الحب. وأنت يا جوليا، لقد بدلت أحوالى فجعلتنى أهمل دراساتى، وأضيع وقتى وأثور للمشورة الناصحة، ولا أحفل بالعالم إطلاقًا، وأخمدت الذكاء بالذهول، وأحزنت القلب بالهم والتفكير.
(سبيد يجرى لاهثاً وهو يحمل حقيبة)

٧٠ سبيد: : سيدى بروتيوس.. رعاك الله. .هل رايت سيدى؟

---

[3]) إن السفر من فيرونا إلى ميلانو يكون براً لا بحراً غير أن شكسبير لم يكن يحسن الجغرافيا.

بروتيوس : الآن سار من هنا ليبحر إلى ميلانو.

سبيد : إذن أراهن، واثقاً من الرهان، أنه لابد أن يكون قد أبحر بالفعل، فصرت من بعده كالشاة الضائعة.

بروتيوس : حقًا إن الشاه لتضل كلما بعد عنها الراعى لحظة.

٧٥ سبيد : إذن أنت تستنتج من هذا أن سيدى راع وأننى شاة

بروتيوس :نعم.

سبيد : لماذا إذاً يكون كل ما لى من قرون آلة انفخ فيها. وقرونه[٤] أيضًا كذلك فى كل وقت.

بروتيوس : إجابة سخيفة، تناسب سخف الشاة كل المناسبة.

سبيد : وهذا يثبت أننى مازلت شاة.

بروتيوس : صحيح. . وسيدك الراعى

سبيد: كلا، وأنا أستطيع أن أرد ذلك بالبرهان.

بروتيوس :سيكون الأمر عسيرًا ولكنى سأقرع الحجة بالحجة.

---

[4]) هذه العبارة تشير إلى فكاهة غامضة يقال إنها مقتبسة من قصة الصبى الصغير الأزرق ونرجح أن فى المعنى مقابلة تشير إلى قرون الشاة والقرون التى ينفخ فيها الراعى ليجمع قطعانه...

سبيد : إن الراعى يبحث عن الشاة، ولكن الشاه لا تبحث عن الراعى، وأنا أبحث عن سيدى وسيدى لا يبحث عنى، ولذلك فأنا لست شاة.

بروتيوس : إن الشاة تبحث عن الراعى من أجل علفها، والراعى لا يبحث عن الشاة من أجل غذائه. وأنت تبحث عن سيدك من أجل الأجر، وسيدك لا يبحث عنك من أجل الأجر.. ولذلك فأنت شاة.

٩٠

سبيد إن برهاناً آخر كهذا سيجعلنى أصيح "ماء"

بروتيوس : ولكن مهلا هل سلمت رسالتى إلى جوليا؟

سبيد : نعم يا سيدى، أنا الخروف الضال، سلمت رسالتك إليها، وهى الشاة ذات الصدار[٥] الموشى، وهى ذات الصدار الموشى لم تعطنى شيئا أنا الخروف الضال فى مقابل ما قمت به .

بروتيوس : المرعى فى هذه الحال صغير جدًا ويضيق بمثل هذا القطيع من الضأن.

سبيد : إذا اكتظت الأرض فالأحرى بك أن نعلق الشاة.

بروتيوس : كلا، فأنت فى هذا حيوان ضال، والأفضل لك أن تحجز فى حظيرة[٦]

سبيد : كلا يا سيدى ، إن أقل من "ليرة" تكفينى لحمل رسالتك.

---

[5]) الأصل فى العبارة أنها تعنى المرأة الفاجرة. وقد تردد الشراح فى قبول هذا المعنى يسوقه خادم عن سيده نبيلة وآثروا الكناية التى أور دناها. ويرى الشاعر الإنجليزى (بوب Pope) أن هذا الحوار كله من انتحال الممثلين وليس من تأليف شكسبير.

[6]) هنا تورية بكلمة Pound بمعنى يحجز فى مكان مقفل وبمعنى جنيه، لم نجد خيرا من ترجمتها بليرة وهى العملة الشامية ليحصل الخلط بين لفظها ولفظ حظيرة فنؤدى بذلك شيئًا من تأثير الأصل.

بروتيوس : أنت مخطئ لم أقل "ليرة"، إننى أقصد حظيرة الأنعام الضالة.

سبيد : من "ليرة" إلى حظيرة أنعام ضالة فاطْوها مرة ومرة . فإنها ثلاث مرات أقل مما أستحقه على حمل رسالتك إلى حبيبتك[٧].

١٠٥

بروتيوس : ولكن ماذا قالت؟ (سبيد يهز رأسه)

سبيد : هزت رأسها؟ أجل

بروتيوس : هزت رأسها، نعم، ولكن هذا غباء وخفة عقل.

سبيد : جانبت الصواب يا سيدى، لقد قلت أنها هزت رأسها، وأنت تسألنى هل هزت رأسها وأنا أجيب نعم.

١١٠

بروتيوس : إن هزة وهزة لا تؤدى إلا إلى الخفة.

سبيد : والان وقد بذلت المشقة فى تركيب العبارة وجمع الهزات بعضها إلى بعض فخذ ما تدل عليه مقابل عنائك.

بروتيوس :لا. لا. ستأخذها أنت مقابل حملك هذه الرسالة.

١١٥ سبيد : أما والأمر كذلك فإنى أحس أننى لابد أن أقنع باحتمالك

---

[7]) الفقرة من "أنا الخروف الضال" إلى "رسالتك إلى حبيبتك لا توجد فى كثير من النسخ.

بروتيوس : ويحك يا هذا وكيف تحملنى؟

سبيد : طبعًا يا سيدى، لقد سلمت الرسالة ولم أنل شيئًا على عملى غير لفظ من قبيل الغباء أو خفة العقل.

بروتيوس : تشتمنى بلطف، ولكنك سريع البديهة.

سبيد : ومع ذلك فإن بديهتى السريعة لا تستطيع اللحاق بكيس نقودك البطئ

بروتيوس :تعالَ، تعالَ، أدخل فى الموضوع باختصار، ماذا قالت؟

سبيد : أدخل يدك فى كيسك أولاً حتى تسلم النقود والموضع كلاهما معًا.

بروتيوس : سأفعل يا سيدى... (يعطيه قطعة نقد) خذ هذه نظير عملك.. ماذا قالت؟

سبيد : (يفحص قطعة النقط باحتقار) الواقع يا سيدى، أظنك لن تفوز بها.

بروتيوس : لماذا؟ وهل استطعت أن تصل إلى هذه النتيجة منها؟

سبيد : يا سيدى، إننى لم أستطع أن أصل إلى شىء منها على الإطلاق، كلا ولا حتى بندقي[٨] واحد فى مقابل تسليم الرسالة إليها. ولما كانت شحيحة معى أنا الذى حملت رسالتك إليها، فإننى أخشى أن تكون كذلك شديدة البخر معك. فلن تقول لك ما تود سماعه منها. فلا تقدم إليها دليلا على حبك إلا أحجارًا، لأنها صلبة صلابة الفولاذ.

١٣٠

بروتيوس : ماذا ألم تقل شيئًا؟

سبيد : (بجفاء) لا. ولا حتى "خذ هذا مقابل تعبك" وأنا، اعترافاً بكرمك، أشكرك. فلقد منحتى هذه القطعة من النقد، جزاء عملى، وعليك منذ الآن أن تحمل رسائلك بنفسك، وعلى ذلك، يا سيدى، فسوف أذكرك بالخير عند مولاى. (يسير متبخترًا متعاليًا)

بروتيوس : (فى غضب) اذهب، اذهب، ارحل لتنجى سفينتك من العطب، إنها لن تهلك وأنت عليها لأنه كتب عليك أن تلقى ميتة جافة على الشاطئ .لا قتيلا ولا غريقًا. يجب أن أذهب وأبعث رسولا أفضل. إذ أخشى أن تكون جوليا لم تحفل برسالتى لأنها تسلمتها من مثل هذا الرسول التافة.

١٤٠ (يخرج)

---

[٨]) قطعة نقود قديمة تساوى ٣.٦ شلن أى نحو سبعة أمثال نصف الشلن.

الفصل الأول

المنظر الثانى

(باب يفتح وتخرج منه جوليا ولوستا)

جوليا : ولكن قولى، يا لوستا، فنحن الآن وحدنا أتنصحيننى إذا بالوقوع فى شرك الحب؟

لوستا : نعم يا سيدتى، إننى أنصحك به على أن تقعى فيه بحذر.

جوليا : (تجلس) من كل هذا الحشد اللطيف من الأشراف الذين يلاحقوننى بأحاديثهم أيهم فى رأيك أجدر بحبى؟

لوستا: فلتتفضلى بذكر أسمائهم ، وسأعمل عقلى طبقاً لخبرتى السطحية الساذجة.

جوليا : ماذا ترين فى السير إجلامور الجميل؟

لوستا : باعتباره فارسًا، أراه حسن الأحدوثة. أنيقًا ظريفًا ، ولكن لو كنت مكانك ما اخترته لنفسى .

جوليا : وما رأيك فى الثرى مركاشيو؟

لوستا : رأيى حسن فى ثرائه ، ولكن رأيى فى شخصه بين... بين.

جوليا : (تطرق برأسها) وما رأيك فى الشاب بروتيوس النبيل؟

لوستا : رباه. رباه. ترى أى حماقة تتحكم فينا؟

جوليا : (بحدة) ولم ذلك؟ وما معنى هذا الانفعال عند ذكر اسمه؟

لوستا : (تتظاهر بالخجل) عفوًا، يا سيدتى العزيزة، إنه انفعال عارض ، فأنَّى لى، وما أنا إلا مخلوقة حقيرة ، أن أحكم هكذا على السادة الوسيمين الشرفاء.

جوليا : ولماذا لا تحكمين على بروتيوس كما حكمت على الآخرين جميعًا؟

لوستا : إذا هاك حكمى : إنه أفضل من الأفاضل.

جوليا : وما السبب؟

لوسيا : ليس عندى سبب سوى ما يكون عند كل امرأة ، إننى أراه هكذا لأننى أراه هكذا.

جوليا ٢٥ : وهل تغربين فى أن أمنحه محبتى؟

لوستا : أجل... إذا كنت ترين أن حبك لم يمنح لأحد بعد .

جوليا : ولكن لِمَ أراه هو دون الآخرين جميعًا ، لا يحرك قلبى؟

لوستا : ومع هذا، فإنى أراه دون الآخرين جميعًا أكثرهم حباً لك

جوليا : إن قلة كلامه تنم عن قلة حبه.

لوستا ٣٠ : إن أكثر النيران احتباسًا أشدها اضطرامًا.

جوليا : ليسوا بمحبين أولئك الذين لا يبينون عن حبهم.

لوستا : كلا بل إن الذين يذيعون حبهم هم أقل الناس حباً.

جوليا : ليتنى أعلم ما فى نفسه.

لوستا : تصفحى هذه الورقة يا سيدتى.

(جوليا تتناولها)

جوليا : إلى جوليا....قولى، ممن؟

لوستا : سيكشف عن ذلك المضمون.

جوليا: قولى، قولى. من أعطاها لك؟

لوستا : خادم السير فالنتين. وأظنه مرسل من بروتيوس، وكان يجب أن

٤٠ يسلمها إليك، ولكننى، وقد كنت فى طريقه، تسلمتها باسمك، فأرجو أن تصفحى عن غلطتى.

جوليا : (تتظاهر بالغضب) وشرفى إنك الآن وسيط حسن.: أتجرؤين على تشجيع الكتابة العابثة إلى؟ أتتهامسين وتتآمرين على شبابى؟ إنها حقاً لوظيفة سامية وإنك لجديرة بها.. (تناولها الرسالة) هاك خذى هذه الرسالة واعملى على إعادتها. وإلا فلا تعودى أنت أبداً إلى.

لوستا : إن الدفاع عن الحب يستحق جزءاً خيراً من البغضاء.

جوليا : (تدق الأرض بقدمها) ألا تنصرفين؟

لوستا (تذهب إلى الداخل) لكى تمعنى فى التفكير...

٥٠ جوليا : ومع ذلك تمنيت أو استرقت النظر إلى الرسالة، إنه لمن المخجل أن استدعيها ثانية، أو أرجوها لارتكاب غلطة زجرتها من أجلها.. يا لها من غبية تعلم أننى فتاة صغيرة ولا تضغط على لكى أطلع على الرسالة؟ إن الفتيات يقلن فى استحياء، لا، ويردن أن يفهم عنهن أن الرد إنما هو نعم. يا للعار. ما أشد عناد هذا الحب النزق، إنه كالطفل العنيد يخمش مربيته ثم لا يلبث أن يخضع ويقبل العقاب راضيًا. وهأنذا فى حقارة قد

٥٥ طردت لوستا فى حين أننى أتمنى من صميم قلبى أن تكون معى الآن هنا.. كيف فرضت على جبينى فى عنف أن يقطب بينما أرغمت الفرحة الداخلية قلبى أن يبتسم. فلأكفرن عن ذلك باستعداء لوستا ثانية وأسألها الصفح عن حماقتى السالفة....

٦٠ ماذا.. هو "يا لوستا"

(لوستا تعود، تسقط الرسالة)

٦٥

لوستا : ماذا تريد صاحبة العصمة؟

جوليا: هل دنا وقت الغداء؟ ليته دنا.

لوستا : فلعلك تقهرين غضبك بأكل اللحم بدلا من صبه على وصيفتك.

(تلتقط الرسالة)

جوليا : ما هذا الذى التقطته بحذر؟

لوستا : لا شيء.

جوليا : لماذا انحنيت إذن؟

لوستا : لألتقط ورقة تركتها تسقط.

جوليا : وهل هذه الورقة لا شيء؟

٧٥ لوستا : لا شيء يخصنى فيها.

جوليا : إذا دعيها لأولئك الذين تخصهم.

لوستا : إنها يا سيدتى جديرة بأن تظل حيث هى إذا أسيء تأويلها.

جوليا : لعل بعض محبيك أرسل إليك شعراً.

٨٠ لوستا : حتى أستطيع يا سيدتى أن أغنيه لحنًا. فتخيرى لى نغماً تستطيع سيدتى أن ترددە[٩] ..

جوليا : نغماً صغيراً يمكن أداؤه بهذه الوسائل اليسيرة. الأفضل أن تغنيه على لحن "ما أخف حملك أيها الحب".

لوستا : إنه قول ثقيل جدًا على لحن خفيف كهذا..

٨٥ جوليا : ثقيل.. لابد إذن أن يكون ذا وزن ما دام ثقيلا..

لوستا : أجل وإنه لشجى إذا غنيته أنت.

جوليا : ولماذا لا تغنينه أنت؟ لأنه من طبقة لا يرقى إليها صوتى[١٠]

جوليا : فلنتأمل أغنيتك..

(تهم باختطاف الرسالة ولوستا تسرع بإخفائها وراء ظهرها وتجرى) وماذا بعد أيتها الحقيرة؟ (تطاردها)

لوستا : (من فوق كتفها) دعى اللحن، ولسوف تقومين بأدائه (جوليا تمسك

٩٠ بها) ومع ذلك فأنا لا أحب هذا المزاح.

جوليا : (تقرصها) لا تحبين؟ كلا يا سيدتي، إنه لحاد جدًا

جوليا : (تلطمها) وإنك لوقحة جدًا أيتها الحقيرة.

لوستا : كلا. لقد هويت إلى القرار وخرجت على وحدة اللحن بهذا النشاز الكبير المفاجئ ولابد لك من نغم وسط لإصلاح لحنك.

جوليا : لقد انحط وسطك إلى المقام الأسفل.

لوستا : حقاً، لأننى أشغلك عن بروتيوس.

جوليا : هذه الثرثرة لن تزعجنى بعد الآن (تمزق الرسالة) وهاك قصاصات تدل على احتجاجى ، اذهبى، اغربى... (لوستا تنحنى) دعى الورق... فإنك تغضبيننى بالتقاطه.

لوستا إنها لتتظاهر بالغضب، ولكنها ستبتهج أعظم ابتهاج إذا أغضبتها رسالة ثانية (تدخل)

جوليا : بل تمنيت لو أغضبتنى هذه الرسالة نفسها.. أيتها اليدان أنتما

---

[9]) تخيرنا النغم والترديد لنهما يتصلان بالموسيقى ويحكيان المعنى الظاهر ولكنهما فى الأصل يحملان معنى مجازاً يتصل بالكتاب والإجابة عن الرسائل.

[10]) احتفظنا بالمعنيين المقصودين فى الموسيقى وطبقة المتحاورين، والحديث كله يدور حول الرسالة.

بغيضتان إلى لإنكما مزقتما مثل هذه الكلمات الحبيبة، وأنت أيتها الزنابير المؤذية التى تتغذى على مثل هذا الشهد الحول وتقتل بلدغاتها، النحل الذى أخرجه سأقبل كل قصاصة على حدة للتكفير عن ذننى، (تلتقط قصاصات الورق) هنا مكتوب، يا جوليا الحنون. .بل إنها لجوليا القاسية، وانتقاماً لنكرانك الجميل. وسألقى باسمك عرض الأحجار المهشمة لأدوس باحتقار على مهانتك.. وهنا مكتوب "صريع الحب بروتيوس" أيها الاسم الجريح المسكين أن صدرى سيضمك كفراش حتى يلتئم جرحك ويشفى. ولذلك فلسوف أسبر أغوار الجرح بقبلة طويلة.. ولكنى أجد مثنى وثلاث اسم بروتيوس مكتوباً.. (تبحث جاثية على ركبتيها) اهدئى، أيتها الريح الطيبة، ولا تدعى كلمة منها تفلت منى حتى أعثر على كل حرف فى الرسالة ، إلا اسمى أنا ؛ ألا فلتحمله رياح هوجاء إلى صخرة معلقة خشنة مخيفة، ولتلق به بعد ذلك إلى جوف البحر الغضوب .. يا عجبا، أننى أجد اسمه فى هذا السطر مكتوباً مرتين:بروتيوس المهجور المسكين، بروتيوس المتيم: إلى جوليا الحبيبة.. لا،هذا سأمزقه.. ومع ذلك فلن أفعل، ما دام قد قرنه فى جمال بوصفيه الشاكيين . وهكذا أطوى أحدهما على الآخر والآن قبِّل واحتضن وتحدث وافعل ما تشاء.. (لوستا تعود)

لوستا : سيدتي

(جوليا تفزع ناهضة) أُعدَّ الغداء والدك ينتظر.

جوليا : (ببرود) إذن. هلمى بنا..

لوستا : ماذا، أتظل هذه القصاصات ملقاة هنا لرواة الأخبار يلتقطونها؟

جوليا : إذا كنت تكبرين شأنها فأولى لك أن تلتقطيها.

لوستا : كلا، لقد لُطمت لطرحها على الأرض... ورغم ذلك فلن تظل ملقاة هنا حتى لا يصيبها البرد أوالضيم (تجمعها)

جوليا : أراك تؤنبينها.

لوستا : أجل يا سيدتى، لك أن ترى فيما تبصرين ما تشائين. إننى أرى أنا الأخرى أموراً وإن خلتنى مطروفة العين.

جوليا : تعالي... تعالي... ألا يسرك أن تذهبى.

(يدخلان لتناول الغداء)

الفصل الأول

المنظر الثالث

فيرونا: غرفة فى بيت أنطونيو أنطونيو يدخل مع تابعة بانشينو

أنطونيو : قل لى يا بانثينو، ما هذا الحديث الحزين الذى استوقفك به أخى فى صحن الدير؟

بانثينو : كان عن ابن أخيه، بروتيوس، ابنك

أنطونيو : لماذا وماذا قال عنه؟

بانثينو يعجب لأن سيادتك تلزمه قضاء شبابه فى موطنه بينما يرسل الآخرون، ذوو المكانة الدينية، أبناءهم فى الخارج لينشدوا الرفعة، بعضهم إلى الحرب ليجرب حظه فيها وبعضهم ليكشف عن الجزر فى الأماكن القاصية، وبعضهم إلى الجامعات الكبير.

١٠ وهو يقول إن ابنك بروتيوس صالح لهذه الأعمال كلها أو لأى منها. وطلب إلى أن ألح عليك ألا تدعه ينفق وقته فى الوطن أكثر مما أنفق، فستكون نقيصة كبرى فى حياته أنه لم يعرف الرحلة فى شبابه.

أنطونيو : إنك لن تحتاج إلى كثير من الإلحاح على فى هذا الأمر فلقد كنت طوال هذا الشهر مشغول البال به لقد قدرت وقته الذى يضيع سدى حق قدره وقدرت أنه لن يصبح رجلا كاملا ما لم يعركه العالم ويوجهه، فإنما تحصل التجربة بالعمل المستمر، ثم تستكمل بالزمن الحثيث: والآن قل لى ما أفضل مكان أوفده إليه؟

٢٥ **بانثينو** : أرى، سيادتك، لا تجهل أن رفيقه الشاب فالنتين يعمل فى خدمة الإمبراطور[١١] فى بلاطه الملكى .

أنطونيو : أعرف ذلك جيدًا.

بانثينو : من الخير فيما أرى أن ترسله ، سيادتك إلى هناك حيث يتدرب على طعان الأسنة وفنون الفروسية وينصت إلى المحاورات الرائعة ويتحدث إلى النبلاء ،

---

[11]) هكذا فى الأصل وأراد شكسبير بهذا التعبير – الذى كرر فى المنظر نفسه مراراً – الملك صاحب ميلان.

ويرى عن كثب كل نشاط يلام شبابه وكرم محتده.

أنطونيو : إننى أحب مشورتك ونعم ما أشرت به ، ولتدرك كم تلقيتها بالرضى ستجد أن تنفيذها يعلن إليك ذلك. فأرسله فى الحال إلى بلاط الإمبراطور مع أول سفرة.

بانثينو : غداً، إذا وافق مولاى، يسافر دون ألفونس مع غيره من الأشراف المحترمين لتحية الإمبراطور وليضعوا إمكانياتهم رهن إشارته.

أنطونيو : صحبة طيبة. فليذهب معهم بروتيوس.. (يدخل بروتيوس وهو يطالع رسالة بإمعان) إن الوقت مناسب.. جاء الأوان لأن نفاتحه فى الأمر.

بروتيوس : (لنفسه) حب جميل سطور جميلة، حياة جميلة. هنا يدها، التى تترجم عن قلبها، هنا قسم حبها، هنا ميثاق شرفا، آه لو أن أبوينا أيدا حبنا وختما على سعادتنا برضائهما. آه أيها الملاك جوليا...

أنطونيو : ما هذه الرسالة التى تقرؤها هنا؟

بروتيوس: عفوًا مولاى، إنها كلمة أو كلمتان للذكرى بعث بهما فالنتين وسلمتا بوساطة صديق جاء من عنده .

أنطونيو : سلمنى الرسالة ودعنى أقرأ ما بها من الأنباء.

بروتيوس : ليست فيها أنباء يا سيدى. غير أنه يصف كيف يعيش هنيئًا... وكيف ينال الإعزاز والإكرام من الإمبراطور كل يوم ويتمنى لو كنت معه أقاسمه حظه.

أنطونيو : وما موقفك من الاستجابة لرغبته

بروتيوس : موقف من يمتثل لإرادة سيادتك ، ولا يعتمد على رغبة صديق.

أنطونيو : إن إرادتى تتفق نوعا ما مع رغبته. ولا تعجب إذا تصرفت على هذا النحو فجأة لأن ما أريده أحققه، ولا معقب على ما أفعل.. لقد عزمت أن تنفق بعض الوقت مع ڤالنتين فى بلاط الإمبراطور. وسأزودك بمرتب كالنفقة التى يحصل عليها من أصدقائه...غداً تتخذ الأهبة للرحيل. فلا تتعلل.. لأننى مصمم.

٦٥

بروتيوس : سيدى، إننى لا أستطيع أن أتخذ الأهبة بهذه السرعة، فمن فضلك أجلها يوما أو يومين.

أنطونيو : إن كل ما تريد سوف يرسل فى أثرك وكفاك إقامة هنا. غدا يجب أن تذهب. تعال يا بانثينو عليك أن تستعجل سفره (يخرج أنطونيو يتبعه بانثينو)

بروتيوس : هكذا تجنبت النار حذر الاحتراق فألقيت بنفسى فى اليم فغرقت فيه. لقد خشيت أن أطلع أبى على رسالة جوليا لئلا يعارض فى حبى فإذا العذر الذى التمسته يستغله هو ليضع أكبر عقبة تعترض سبيل حبى آه .. ما أشبه ينبوع الحب هذا ببهاء يوم خلاب من أيام الربيع يظهر حينا كل ما فى الشمس من رواء ثم تأتى سحابة بعد حين فتمحو كل شىء (بانثينو يأتى إلى الباب)

بانثينو : يا سيد بروتيوس، عن والدك يدعوك.. إنه متعجل. أناشدك أن تذهب إليه.

بروتيوس : هكذا الأمر – إن قلبى يلبى النداء ولكنه مع ذلك يجيب "لا" وألف "لا".

الفصل الثاني

المنظر الأول

شارع فى ميلان فالنتين يتبعه سبيد: فالنتين يسقط قفازه

سبيد : (يجرى إليه) سيدى، قفازك.

فالنتين : ليس قفازى.. إن قفازى فى يدى

سبيد : بل قد يكون قفازك، فإنما هو واحد

فالنتين : ها... دعنى أر.. أجل أعطنى إياه. إنه قفازى. حلية جميلة تزين شيئًا قدسياً آه، سلفيا، سلفيا.

سبيد : (ينادى) يا سيدة سلفيا. يا سيدة سلفيا...

فالنتين : ماذا تقول الآن، يا هذا..

سبيد : أنها ليست على مسمع منا يا سيدى.

فالنتين : ويلك، ومن طلب إليك أن تناديها؟

سبيد : فضيلتك يا سيدى، وإلا فقد أخطأت.

فالنتين : أرى أنك ستظل وقحًا مندفعاً.

سبيد : ومع هذا فقد زجرتنى أخيرا لأننى كنت ثقيلا محجماً.

فالنتين : هلم يا صاح وقل لى: هل تعرف السيدة سلفيا؟

سبيد : تلك التى تحبها سيادتك..؟

فالنتين : وكيف عرفت إننى أحب؟

سبيد : عجباً! بهذه السمات المميزة أولاً، لقد تعلمت – مثل السيد بروتيوس – أن تلف ذراعيك كما يلفهما المتبرمون ، وأن تصدح بأغانى الحب كما يصدح الهزار، وأن تسير منفرداً، كمن أصيب بالطاعون، وأن تتنهد كالتلميذ الذى نسى أبجديته، وأن تبكى كالصبية التى دفنت جدتها، وأن تصوم كمن هو فى حمية، وأن تسهر ساهدًا كمن يخشى السرقة، وأن تتحدث متهدج الصوت كالسائل فى عيد القديسين؛ وكانت عادتك إذا ضحكت أن تصدح كالديك، وإذا مشيت مشيت كالأسد، وإذا صمت فصومك عقب الغداء، فإذا بدا عليك الجنون كان ذلك لافتقارك إلى المال.. أما الآن، فقد حولتك عن صورتك سيدة، حتى إنى إذا نظرت إليك، صعب على أن أميز فيك صورة سيدى.

فالنتين : أكل هذه الأمارات تلاحظ على؟

سبيد : أنها تلاحظ جميعاً فى مظهرك وقد تبدلت فلم تعد إياك

فالنتين تلاحظ وقد تبدلت؟ هذا غير ممكن.

سبيد : أجل، تبدلت، وهذا أكيد فقد كنت بسيطاً بساطة لا نظير لها، قبل أن تدخلك هذه الحماقات، فأما وقد استقرت هذه الحماقات فى نفسك، وأخذت تلمع كما يلمع

٣٥ الماء فى أنبوبة الطبيب، فإن كل عين تراك هى عين طبيب يشخص داءك العضال.

فالنتين : ولكن قل لي. .هل تعرف سيدتى سلفيا؟

سبيد : أهى التى تحدق فيها ملياً عندما تجلس للعشاء؟

فالنتين : هل لاحظت أنت ذلك؟ أنها هى التى أعنى.

٤٠سبيد : حقاً يا سيدى أنا لا أعرفها.

فالنتين : أتعرفها من تحديقى فيها ثم أنت حقاً لا تعرفها ؟

سبيد : أو ليست هى التى غير مُقتَّر عليها فى الجمال.

فالنتين : بل إنى لأغدق عليها من حبى بأوفر مما أغدق الله عليها من جمال.

٤٥سبيد : سيدى، إننى أعرف ذلك كل المعرفة

فالنتين : وماذا تعرف؟

سبيد : إنها ليست رائعة الجمال، بقدر ما هى محبوبة منك.

فالنتين : أقصد أن جمالها رائع أما حبى لها فهو غير محدود

سبيد : ذلك لأن الأول أصباغ، أما الآخر ففوق كل تقدير.

فالنتين : وكيف يكون هذا أصباغًا وذاك فوق التقدير؟

سبيد :حقًا، يا سيدى، إنها مصبوغة لتكون جميلة، حتى لا يوجد من يستطيع تقدير جمالها.

فالنتين : وكيف تقدرنى أنا؟ فأنا أقدر أنها جميلة.

سبيد : إنك لم ترها قط منذ شاهت صورتها؟

٥٥فالنتين : وكم لبثت شوهاء

سبيد : منذ أن أحببتها.

فالنتين : إننى أحببتها مذ رأيتها، ولا أزال أراها جميلة.

سبيد : إذا كنت تحبها، فأنت لا تستطيع أن تراها

فالنتين : لماذا؟

سبيد : لأن الحب أعمى ليت لك عينيّ، أو ليت لعينيك النور الذى كان لهما، عندما كنت تنتقد السيد بروتيوس لأن العشق أنساه أن يربط جوربه.

فالنتين : وماذا كنت أرى إذ ذاك.

سبيد : حماقتك أنت الحاضرة وتشويهها الفائق، لأن بروتيوس، وقد وقع فى الحب، نسى أن يربط رباط جوربه وأنت وقد وقعت فى الحب نسيت أن تلبس جوربك أصلا.

فالنتين : إذن أنت بالمثل يا غلام تحب لأنك لم تستطع صباح أمس أن تعنى بمسح حذائى.

سبيد : حقا، يا سيدى ، كنت أحن إلى مخدعى وأحبه . وأنا أشكرك، فقد ضربتنى من أجل حبى، مما جعلنى أجرأ قلباً على تأنيبك من أجل حبك.

فالنتين : النهاية، إننى ثابت على حبها.

سبيد : تمنيت لو انطفأت هذه الجذوة فيك وبذلك تتخلص من حبك.

فالنتين : لقد كلفتنى فى الليلة الماضية أن أكتب رسالة إلى رجل تحبه

سبيد : وهل فعلت؟

فالنتين : أجل. .

سبيد : ألم تكتب سطورها عرجاء؟

فالنتين :لا، يا غلام، ولكنى أجدت كتابتها على أحسن ما أستطيع.. صه، ها هى ذى آتية. (سلفيا تقترب ومعها وصيفتها)

سبيد : (جانبًا) يا للحركة الرشيقة.. آه. ما أبدعها من دمية، والآن سوف يفصح لها عما فى نفسه.

فالنتين : (يمعن فى الانحناء) سيدتى، ومولاتى، ألف صباح سعيد.

سبيد : (جانباً) آه، هاك مثلها مليون طراز من آداب السلوك .

سلفيا : (تنحنى) إلى السيد فالنتين وإلى التابع. لكما كليكما ألفا صباح سعيد.

سبيد : (جانباً) يجب أن يعطيها على ذلك ربحاً . وهى ترده له ،

فالنتين : إننى، وكما أمرتنى، كتبت رسالتك الموجهة إلى صديقك المجهول الذى لا اسم له (يناولها الرسالة) ولم أكن راغبًا رغبة قوية فى الإقدام على كتابتها، ولم أفعل ذلك إلا وفاء لواجبى نحو عصمتك.

سلفيا : (تتصفح الرسالة بإمعان) أشكرك أيها الخادم اللطيف. لقد أحسنت الكتابة.

فالنتين : والآن صدقينى يا سيدتى، لقد أديتها على رغمى لأن جهلى بمن توجه إليه الرسالة جعلنى أكتبها كيفما اتفق وبكثير من الشك فى أمر جديتها.

سلفيا : (ببرود) أراك تقدر تعبك هذا تقديراً عظيماً.

فالنتين : كلا، يا سيدتى، ما دام هذا فى خدمتك، وسأكتب إرضاء لأمرك، ألف ضعف لهذه. ومع ذلك ..

سلفيا : أراك توقفت، وفى وسعى أن أحرز بقية الجملة.. (ومع ذلك، مَن أذكرها . ومع ذلك لست أبالى .. ومع ذلك خذ هذه الرسالة.. ومع ذلك أشكرك.. وليس فى نيتى أن أزعجك بعد اليوم.

(تقدم له الرسالة)

سبيد١٠٥ : (لنفسه) ومع ذلك فإنك ستفعلين، ومع ذلك ستترددين، مع ذلك..

فالنتين : (فى خجل) ماذا تعنى عصمتك؟ ألم تعجبك؟

سلفيا : أجل.. أجل.. إن السطور قد كتبت بمهارة ولكن ما دمت قد كتبتها برغمك فلترد إليك (تناوله الرسالة ثانية) كلا.. خذها.

فالنتين : سيدتى إنها كتبت لك..

سلفيا : نعم، نعم.. لقد كتبتها يا سيدى، تنفيذًا لطلبى ولكنى لا أريد شيئا منها.. إنها لك. كنت أفضل أن تكتب بحيث تكون أشد تأثيراً فى النفس. (يتناول الرسالة)

فالنتين : من فضلك، سأكتب إلى عصمتك رسالة أخرى..

سلفيا : وإذا فرغت منها.. فاقرأها بحياتى على نفسك فإذا أعجبتك فذاك. أما إذا لم تعجبك فليس ذاك.

فالنتين : إذا أعجبتنى يا سيدتى، فماذا.. إذن؟

سلفيا : إذا أعجبتك فخذها جزاء عملك، والآن عم صباحاً أيها الخادم (تنحنى وتنصرف)

سبيد : (جانباً) مزاح غير مفهوم.. لا يمكن تعليله. ولا يمكن أن يرى كأنه أنف على وجه إنسان، أو كشارة الريح فى قمة القبة العالية، إن سيدى يخطب ودها.. وقد علمت خاطبها، وهو تلميذها أن يصبح أستاذها.. يا لها من حيلة بارعة ..هل سمع أحد بأحسن منها؟ إن سيدى، وهو الكاتب يلزم بكتابة الرسالة إلى نفسه؟

فالنتين : ماذا بعد، يا هذا، فيم تفكر بينك وبين نفسك؟

سبيد١٣٠ : لا شىء.. كنت سابحاً فى عالم الشعر؛ إنك أنت يا سيدى الذى يتلمس عنده التفكير.

فالنتين : لعمل ماذا؟

سبيد : لتكون المتكلم باسم السيدة سلفيا..

فالنتين إلى من ؟

سبيد : إلى نفسك.. أؤكد لك، إنها تتودد إليك بالرموز.

فالنتين : أى رموز؟

سبيد : لعل الأوفق أن أسميها رسالة.

فالنتين : وكيف وهى لم تكتب إلى؟

سبيد : وما الذى يحوجها إلى ذلك، وقد جعلتك تكتب إلى نفسك

أو لم تفهم المداعبة؟

فالنتين :كلا، صدقنى . .

سبيد : هبنى صدقتك يا سيدى، ألم تلاحظ ما قدمت اليك من عربون؟

فالنتين : إنها لم تعطنى شيئاً، سوى كلمة تدل على عدم الرضى

سبيد : لماذا، لقد أعطتك رسالة..

فالنتين : إنها الرسالة التى كتبتها إلى صديقها.

سبيد : وهذه الرسالة قد قدمتها إليك، وقصى الأمر.

فالنتين : أرجو ألا يكون الأمر أسوأ من ذلك..

سبيد : بل أنا أؤكد لك ذلك، عن الأمر على خير ما يرام فكثيراً ما كتبت لها.. وهي، لم تستطع الرد عليك، إما حياءً وإما لعدم وجود وقت الفراغ أو خوفاً من رسول يكشف سرها.

وقد علمت حبيبها نفسه أن يكتب إلى حبيبها. وأنا أقول هذا كله بكلام مطبوع لأننى وجدته مطبوعاً فلماذا تشغل بالك يا سيدى؟ لقد حان وقت الغداء..

فالنتين : (يتنهد) لقد تغديت..

سبيد : أجل، ولكن اسمع يا سيدى إذا كان الحب كالحرباء، غذاؤه الهواء، فإننى اغتذى بأطعمتى وأتمنى أن أحصل على قطعة من اللحم.. آه، ولا تكن مثل سيدتك. تَحَرَّكْ.

تحرك (يتحركان)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

(فيرونا.. الشارع القريب من منزل جوليا) بروتيوس. وجوليا على مقعد تحت الشجر)

بروتيوس : تجملى بالصبر، يا جوليا الرقيقة...

جوليا : لابد من ذلك، حيث لا يوجد علاج آخر

بروتيوس : سأعود متى سنحت لى الفرصة..

جوليا : إذا لم تتحول.. فستكون عودتك أسرع

احتفظ بهذا التذكار من أجل جولياك. (تناوله خاتمًا..

بروتيوس : إذا فلنتبادل. إليك هذا الخاتم. (يناولها خاتماً آخر).

جوليا : ولنسجل المبادلة بقبلة مقدسة.

بروتيوس : هذى يدى دليلا على صدق وفائى.. وإذا انقضت على ساعة من النهار ولم أتنهد من أجلك يا جوليا، فليقع لى فى الساعة التى تليها مكروه يعذبنى لنسيان حبى، إن أبى ينتظرني؛ لا تجيبى فلقد جاء المد[١٢]

كلا ليس المد الذى تحدثه دموعك.. فإن هذا المد سيجعلنى أمكث أكثر مما ينبغى جوليا، وداعاً.. (يتعانقان وتخرج باكية) ماذا أتذهب دون أن تقول كلمة؟ أجل، هذا هو الحب الصادق. أنه لا يستطيع الكلام.. لأن الصدق تزينه الأفعال بأفضل مما تزينه الأقوال.. (بانثينو يظهر عن بعد)

بانثينو : (ينادي) يا سيد بروتيوس.. إنهم ينتظرونك.

بروتيوس اذهب أننى قادم، إننى قادم يا عجباً، هذا الفراق يصيب العشاق المساكين بالبكم.

(يخرج)

---

[12]) أى حان السفر وهنا يشير شكسبير مرة أخرى إلى أن السفر من فيرونا إلى ميلانو بطريق البحر وهذا بالطبع مستحيل ومع ذلك فإن عودة فالنتين ستكون بطريق البر وهذا الخلط يرجع إلى قلة معرفة شكسبير بالجغرافيا.

الفصل الثانى

المنظر الثالث

(لونس يقترب ببطء باكياً، يقود كلباً ثم يربطه إلى شجرة)

لونس : كلا، ستجئ هذه الساعة قبل أن أفرغ من بكائى إن جميع من على شاكلة آل لونس يشكون هذه النقيصة نفسها. لقد حصلت على نصيبى كالابن المتلاف، وهأنذا ذاهب مع السيد بروتيوس إلى البلاط الإمبراطورى، وأظن أن كلبى "كراب" هو أشمس كلب على قيد الحياة. إن أمى تبكى وأبى ينتحب، وأختى تولول، وخادمتنا تندب، وقطتنا تفرك يديها حزنًا، وكل بيتنا فى ارتباك عظيم. ومن ذلك فهذا الكلب الغليظ القلب لم يذرف دمعة واحدة.. أنه حجر، أنه حجر صيغ من الحصى. وليس فيه من الرحمة أكثر مما فى كلب، عن اليهودى لو قد رأى فراقنا لبكى، انظر إن جدتى وهى مكفوفة العينين، ذهب البكاء ببصرها على فراقى. كلا. سأريك كيف حدث ذلك.. (يخلع نعليه) هذا الحذاء أبى، لا، هذا الحذاء الأيسر هو أبي، لا، لا، بل هذا الحذاء الأيسر أمى.. كلا، لا يمكن أن يكون هذا، ولا ذاك، أجل.. أنه كذلك، إن لها النعل الأردأ.. هذا الحذاء ذو الثقب هو أمى، وذاك أبى عليه اللعنةها هو ذا (يضع نعليه على المقعد) والآن يا سيدى هذه العصا أختى، لأنها كما ترى فى بياض الزنبق، وفى قصر الصولجان. وهذه القبعة هى "تان" خادمتنا وأنا الكلب.. لا، الكلب هو نفسه، وأنا الكلب، آه، والكلب أنا، وأنا هو نفسى.. أجل وهلم جرا.. والآن أتوجه إلى أبى (يجثو) أبتاه! بركتك، والآن ما لهذا الحذاء يعبر عن بكائه، والآن أولا يجب أن أقبل أبى (يقبل أحد الحذاءين) ما هذا؟ إنه لا يزال يبكي.. والآن أتوجه إلى

أمى.. آه ، لو أنها تستطيع الآن أن تتكلم، كالمرأة الريفية الجلفة أننى أقبلها. (يقبل النعل الأخرى) ها هى ذى وهذا هو شهيق أمى وزفيرها[١٣]. والآن أتوجه إلى أختى، خذ بالك من الأنين[١٤] الذى يصدر عنها، كل هذا والكلب فى كل هذه الفترة لم يذرف دمعة، أو ينبس بكلمة.. ولكن انظر كيف هَدَّأت التراب بدموعى (بانثينو يعود مسرعًا)

بانثينو : لونس، اذهب، اذهب.. إلى السفينة. إن مولاك قد ركب السفينة وستلحق به على عجل بالمجاذيف.. ماذا حدث؟ لماذا تبكى يا رجل؟ انصرف يا حمار، سيفوتك المد، إذا تلكأت أكثر من ذلك.

لونس : (يملؤه الحزن) لا شىء يهم إذا ضاع المتاع الممدود[١٥] لأنه أخس ما مده إنسان..

بانثينو : ما هذا الممدود الذى تشير إليه؟

لونس : إن الممدود هنا، كلبى "كراب"

بانثينو : صه يا رجل. .إننى أقصد أنك ستفقد التيار وإذا فقدته فقدت رحلتك، وإن فقدت رحلتك ، فقدت سيدك، وإن فقدت سيدك فقدت عملك، وإن فقدت عملك.. لماذا تسكتنى؟

لونس : خوفًا عليك من أن تفقد لسانك.

بانثينو : وأين أفقد لسانى.

لونس : فى ذيل قصتك

بانثينو : فى ذيلي؟ [١٦]

لونس : أفقد المد، والرحلة، والسيد، والعمل، والربط والمربوط (يفك وثاق كراب) لماذا يا رجل، إذا كان النهر جافًا، فإننى أستطيع أن أملأه بدموعى، وإذا كانت الريح ساكنة فانا أستطيع أن أسيِّر القارب بزفراتى..

بانثينو : هلم.. انصرف يا رجل.. لقد أرسلت لأدعوك.

لونس : (متوعدًا) ادعنى ما شئت، إذا تجرأت..

بانثينو : ألا تذهب؟

لونس : حسنًا، سأذهب..

(ينصرفان متعجلين)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

ميلان: غرفة فى قصر الدوق، فالنتين وسلفيا يجلسان معًا ويتحدثان بصوت منفخض، سبيد وراء فالنتين، والسيد ثوريو (يرتدى ثيابًا متكلفة) يراقبهما عن بعد.

سلفيا : أيها الخادم

ڤالنتين : مولاتى

سبيد : (يهمس فى أذن سيده) مولاى إن السيد ثوريو ينظر إليك مقطب الجبين..

ڤالنتين : أجل، يا غلام، ذلك من الحب.

سبيد : ليس من حبك أنت

ڤالنتين : من حب سيدتى إذن.

سبيد : يا حبذا لو صرعته (يخرج سبيد)

سلفيا : (بصوت مرتفع قليلا) أيها الخادم، إنك مكتئب.

ڤالنتين : حقًا يا سيدتى.. إننى كذلك فيما يبدو

ثوريو : أو تبدو خلاف ما أنت عليه.

ڤالنتين : قد أكون كذلك.

ثوريو : هكذا يفعل المنافقون

ڤالنتين : وهكذا تفعل أنت.

ثوريو : وما الذى أبديه وليس فى ؟

ثوريو : التعقل

ثوريو : وما هو الشاهد على نقيضه؟

فالنتين : حماقتك.

ثوريو : وكيف أدركت حماقتى؟

فالنتين : أدركتها من صدارك الضيق

ثوريو : إنه صدار[١٧] موجه مزدوج

فالنتين : حسنًا، سأضاعف حماقتك إذن فتزدوج أيضًا

ثوريو : وكيف؟

سلفيا : ماذا، أغاضب أنت يا سيد ثوريو؟ أيربد وجهك؟

فالنتين : التمسى له العذر يا سيدتى فإنه نوع من الحرباء.

ثوريو : حرباء أميل لأن تتغذى من دمك أكثر من ميلها الفطرى لأن تتغذى على هواك[١٨]

فالنتين : لقد قلتها يا سيدى.

ثوريو : أجل يا سيدى، وفعلتها أيضًا، فى هذه المرة.

فالنتين : أعرف ذلك حق المعرفة يا سيدى، فأنت تنتهى دائمًا قبل أن تبدأ.

سلفيا : تراشق بديع، أيها السيدان، بالكلمات، تنطلق بسرعة.

فالنتين : إنها لكذلك على التحقيق يا سيدتى، ونحن نشكر الموجه إليه.

سلفيا : ومن هو، أيها الخادم؟

فالنتين : أنت نفسك أيتها السيدة الجميلة، فأنت التى أشعلت نارها، والسيد ثوريو إنما يستعير سرعة خاطره من جمال طلعتك، ويتكرم بإنفاق ما يستعيره فى حضرتك.

ثوريو : يا سيدى، إذا أنفقت كلمة من عندك لكل كلمة منى، فسأصيب ذكاءك بالإفلاس.

فالنتين : أعرف ذلك جيدًا يا سيدى. فإن لك خزانة عامة من الكلمات، بل ليس عندك معين آخر تدفع منه لأتباعك.. إن ذلك ليبدو فى كسوة أتباعك البالية، لأنهم يعيشون على كلماتك البالية.

سلفيا : كفى، كفى، أيها السيدان.. فهذا أبى قد أقبل (يدخل الدوق وفى يده رسالة)

الدوق : (مبتسما) والآن يا ابنتى سلفيا، إنك فى مركز صعب[١٩] وأنت يا سيد فالنتين، إن والدك فى صحة جيدة. ماذا تقول فى رسالة من أصدقائك تحمل أنباء سارة جدًا مولاى، أكون شاكرًا

فالنتين : لأى رسول سعد من هناك

الدوق : هل تعرف مواطنك الدوق أنطونيو؟

فالنتين : أجل، يا مولاى، أعرف أن للسيد مكانة مرموقة وشهرة حسنة، وأن سمعته الطيبة يستأهلها بحق.

الدوق : أليس له ولد؟

فالنتين : أجل يا مولاى الجليل، له ولد جدير بشرف هذا الوالد ورعايته.

الدوق : أتعرفه جيدًا؟

فالنتين : أعرفه كما أعرف نفسى.. لأننا كنا متلازمين ننفق الساعات معًا منذ طفولتنا ومع أننى كنت كَسِلا أفر من الدرس وأضيع ثمرات الوقت الشهية سدى ولا أكسو حياتى بكمال أدنى إلى كمال الملائكة، فان السيد بروتيوس، وهذا اسمه، استغل أيامه واستخلص منها فائدة كبرى وهو صغير فى سنه، بيد أنه شيخ فى تجربته... ورأسه صلب ولكن رأيه ناضج. فهو بإيجاز، وإن كانت كل المدائح التى أسبغها عليه لا تبلغ مكانته، امرؤٌ كامل فى صورته وفى عقله وفيه جميع الفضائل التى يزهو بها السيد الشريف.

الدوق : ويحى يا سيدى وإذا كان له مثل هذا الفضل فانه جدير بحب إمبراطورة وصالح لأن يكون مستشارًا لإمبراطور، نعم يا سيدى إن هذا السيد قد جاءنى ومعه توصيات من حكام عظام، وهو ينوى أن يمكث هنا ليقضى فترة من الوقت أرجو ألا تكون هذه الأخبار غير سارة لك.

فالتين : لو كنت قد تمنيت شيئا لما تمنيت غير هذا.

الدوق : فلنرحب به إذن على قدر مكانته.. سلفيا، إننى أتحدث إليك وإليك أنت يا سيد ثوريو، أما فالنتين فليس فى حاجة إلى أن أذكر ذلك له سأرسله إليكم هنا فورًا (يخرج)

فالنتين هذا هو السيد الذى ذكرت لعصمتك أنه كان سيأتى معى لولا أن صاحبته قد كبلت عينيه بمحاسنه الباهرة.

سلفيا : يظهر أنها أطلقت سراحهما الآن بعد أن أخذت منه موثقا آخر على ولائه.

فالنتين : كلا، على التحقيق، فإنى أرى أنها لا تزال تجعل منهما رهينتين عندها.

سلفيا : لا يمكن لإنه يصبح أعمى وإذا كان كذلك فكيف يبصر طريقه إليك؟

فالنتين : بلى يا سيدتى، إن للحب عشرين زوجًا من العيون

ثوريو : إنهم يقولون إن الحب ليست له عين على الاطلاق.

فالنتين : ليست له عين ليرى محبين مثلك يا سيد ثوريو، لأن العين أمام القبح لا تملك إلا أن تكون مطروفة.

سلفيا : كفى، كفى.. لقد أقبل السيد.

(يدخل بروتيوس، ينصرف ثوريو، هو يهز كتفيه)

فالنتين : مرحبًا بك يا عزيزى بروتيوس.. (يتعانقان) أسألك يا سيدتى أن تؤكدى الترحيب به بأن تمنحيه حظوة خاصة

سلفيا : إن مكانته تؤكد الترحيب به هنا، إذا كان هو الذى رغبت دائمًا فى أن يكتب إليك.

فالنتين : سيدتى، إنه لكذلك... (يقدمه إليها) سيدتى الجميلة، تَقبليه ليكون زميلا لى فى خدمة عصمتك.

سلفيا : (تنحنى) سيدة جد متواضعة لمثل هذا الخادم الرفيع.

بروتيوس : ليس الأمر كذلك يا سيدتى الجميلة، ولكنه خادم أحقر من أن يحظى بنظرة من السيدة الرفيعة.

فالنتين : دعى الحديث عن التواضع يا سيدتى الجميلة وتقبليه خادمًا لك.

بروتيوس : إنه لواجبى الذى أعز به دون أى شىء آخر.

سلفيا : وما أحتاج الواجب قط إلى الجزاء عليه (يقبل يدها) أيها الخادم مرحبًا بك من سيدة قليلة الخطر.

بروتيوس : إننى أقتل من يقول ذلك اللهم إلا أنت.

سلفيا : من يقول مرحبًا بك؟

بروتيوس : بل من يقول إنك قليلة الخطر (ثوريو يعود)

ثوريو : سيدتى إن مولاى، أباك، يريد أن يتحدث إليك..

سلفيا : أنا رهن إشارته هلم يا سيد ثوريو فاخرج معى. وأنت أيها الخادم الجديد، مرحبًا بك مرة أخرى، أتركك لتتحدث فى شئون موطنك، فإذا فرغت فنحن نتطلع لاستماع أنبائك.

بروتيوس : نحن كلانا سنكون فى خدمة عصمتك. (تخرج سلفيا مع ثوريو)

فالنتين : والآن قل لى كيف حال الذى جئت من عندهم جميعًا؟

بروتيوس : أصدقاؤك بخير فأذكرهم أطيب الذكرى.

فالنتين : وكيف حال أصدقائك؟

بروتيوس : تركتهم جميعًا فى عافية.

فالنتين : وكيف حال حبيبتك؟وكيف يزكو حبك.

بروتيوس : إن حكايات حبى كانت تضجرك دائمًا. فأنا أعلم أنك لا تستمتع بحديث حب.

فالنتين : أجل يا بروتيوس، ولكن تلك الحياة تغيرت الآن. فكفرت عن إزدرائى للحب. وها هو ذا الحب يعاقبنى بأفكاره السامية الآمرة بحرمان مرير وبأنات تائب، ودموع الذى يقضى الليل ساهدًا، وزفرات الذى ينفق النهار بقلب متفجع، ذلك أن الحب انتقامًا من احتقارى له قد طرد النوم من عينى اللتين استعبدهما وجعلهما حارستين على أحزان قلبى. آه يا بروتيوس الرفيق إن الحب سيد قاهر ولقد أخضعنى كما أعترف بذلك حتى لا أحس ألمًا لعذابه أو غضاضة فى الخضوع له وإذا رضى فلا مسرة فى الأرض كمسرته. والآن لا حديث لى إلا عن الحب. وأنا الآن لا أفكر ولا أتغدى أو أتعشى أو أنام إلا على اسم الحب.. الحب مجردًا.

بروتيوس : كفى، إننى أقرأ حظك فى عينيك.. أهذا هو الصنم الذى تعبده كل العبادة؟

فالنتين : إنها لهى أو ليست ملاكًا سماويًا؟

بروتيوس : كلا، ولكنها نموذج أرضى مثالى.

فالنتين : قل إنها إلهية.

بروتيوس : إننى لن أتملقها.

فالنتين : آه، ولكن تملقنى أنا، فإن الحب يسره المديح.

بروتيوس : عندما كنت مريضًا أعطيتنى أقراصًا مرة ويجب أن أقدم مثلها لك.

فالنتين : إذن أصدقنى الحديث عنها فإن لم تكن إلهية فلتكن أميرة مُمَلَّكة على جميع الخلائق فى الأرض.

بروتيوس : ما عدا سيدتى أنا.

فالنتين : عزيزى، لا تستثن من ذلك أحدًا ،لأنك إذا استثنيت أسأت إلى حبى

بروتيوس : أليس لى الحق فى أن أفضل حبيبتى أنا؟

فالنتين : وأنا أعاونك على تفضيلها أيضًا! إنها ستكرم بهذا الشرف السامى وهو أن تحمل ذيل سيدتى، حتى لا تسنح الفرصة للأرض الحقيرة لأن تختلس من ثوبها قبلة فتزهو بهذا الفضل العظيم وتأنف من أن تقبل جذور زهرة الصيف اليانعة. بل لا تبالى إذا بقى الشتاء سرمدًا.

بروتيوس : ويلك يا فالنتين، ما هذه الثرثرة؟

فالنتين : عفوًا يا بروتيوس، فكل ما أستطيعه لا يعد شيئًا بالنسبة إليها، فإن قدرها يمحو أقدار الآخرين، إنها نسيج وحدها.

بروتيوس : إذن، دعها وحدها.

فالنتين كلا، ولو أعطيت العالم كله.. ماذا يا هذا، إنها لى وحدى، وسأكون، بالحصول على مثل هذه الجوهرة ثريا ثراء من يمتلك عشرين بحرًا ذرات رمالها كلها من اللؤلؤ، ومياهها من شراب آلهة الأوليمب، وصخورها من العسجد الخالص. سامحنى إذا كنت مقصرًا فى حقك، فأنت ترانى أهيم بالحب. لقد انصرفا معًا. وهى ومنافسى الأحمق الذى يؤثره أبواها لممتلكاته الواسعة. يجب أن ألحق بهما، لأن الحب، كما تعلم، تَعْمُرُه الغيرة.

بروتيوس : ولكن هل تحبك؟

فالنتين : أجل، ونحن خطيبان... كلا، بل نحن أكثر من خطيبين. فلقد رتبنا ساعة زواجنا، بكل ما يتطلبه هروبنا من حيلة بارعة رتبنا كيف أتسلق نافذتها بسلم مصنوع من الحبل ودُبرت جميع الوسائل واتفق عليها، وهى مهيأة لتحقيق سعادتى. يا بروتيوس الطيب، تعال معى إلى غرفتى لتعيننى بنصحك على هذه الشئون.

بروتيوس : اسبقنى وسوف ألحق بك.. فيجب أن اذهب إلى الطريق، لكى أنزل من السفينة بعض المتاع الضرورى الذى أحتاج إليه.. ثم ألحق بك فى الحال.

فالنتين : (عند الباب) هل لك أن تسرع؟

بروتيوس : سأفعل (فالنتين يفارقه) وكما أن النار تطفئ نارًا أخرى، وكما أن مسمارًا يطرد بالقوة مسمارًا آخر، فإن ذكرى حبيبتى السابقة تصبح نسيًا منسيًا بفضل حبيبة أحدث فهل نظرتى الزائغة أو مديح فالنتين وكمالها الصادق أو ضلالى الأثيم هو الذى جعلنى نزقًا – أفكر على هذا النحو؟ إنها لجميلة. وكذلك جوليا التى أحبها.. التى كنت أحبها، لأن حبى قد ذاب الآن، كتمثال الشمع إذا تعرض للنار لا يحمل صورة الشىء الذى كان عليه.. وأنا أظن أن عاطفتى نحو فالنتين فاترة، وإننى لا أحبه كما تعودت فى الماضى، ولكن أحب حبيبته جدًا جدًا.. وهذا هو السبب الذى يجعلنى أحبه قليلاً جداً وكيف أهيم بها بعد مزيد من النصح وأنا بدأت أحبها هكذا بغير نصح . أنى لم أكد أرى مجرد صورتها حتى بهر نورها عقلى ؛ ولكنى عندما أنظر إلى مميزاتها الكاملة لن يكن هناك سبب إلا أن أكون أعمى.. والآن سأكبح جماح حبى الضال إن استطعت وإلا فإنى سأبذل جهدى لكى أظفر بها. (يخرج)

الفصل الثانى
المنظر الخامس

(ميلان – شارع بالقرب من رصيف الميناء، وحافة قريبة جدا منه . سبيد يقابل لونس وكلبه).

سبيد : لونس.. بحق أمانتى، مرحبًا بك فى ميلان[٢٠]

لونس : لا تقسم، أيها الفتى الغرير فلست أهلا للترحيب.. إننى أدرك دائمًا. أن المرأء لا يسلم من الهلاك إلا إذا شنق، ولا يرحب به فى مكان حتى يدفع جعلا معينًا، وتقول له المضيفة مرحبًا بك.

سبيد : تعال، أيها المخبول.. فسأذهب بك إلى الحانة فورًا، حيث تحصل بجعل واحد، من خمسة بنسات، على خمسة آلاف مرحبًا بك.. ولكن قل لى أيها الوغد كيف فارق مولاك السيدة جوليا.

لونس :حقًا، بعد أن اتصلا جادين افترقا مازحين فى يسر.

سبيد : ولكن هل ستتزوج منه؟

لونس : كلا.

سبيد : كيف إذن؟ هل سيتزوج هو منها؟

لونس : كلا، ولا هذا أيضًا.

سبيد : ماذا، هل فسخا خطبتهما وانفصلا؟

لونس : كلا لم ينفصل بينهما شىء كلاهما سليم معافى كالسمكة.

سبيد : إذن كيف انتهى الحال بينهما؟

لونس : حقًا، هكذا.. إذا حسن الحال معه فسوف يحسن الحال معها أيضًا.

سبيد : يا لك من حمار إننى لا أفهمك

لونس : يا لك من غبى، إذا كنت لا تفهم، فان عصاى لتفهمنى

سبيد : عصاك تفهم ما تقول..

لونس : أجل، وما أفعل أيضًا.. أنظر يا هذا، حسبى أن أتوكأ وعصاى تفهمنى.

سبيد : إنها تقف تحتك يقينًا،

لونس : لأن تقف تحت. ولأنه تفهم[٢١] الأمر سيان.

سبيد : ولكن قل الحق. أيكون زواج؟

لونس : أسأل كلبى.. إذا قال نعم فسوف يتم. وإذا قال لا فسوف يتم وإذا بصبص بذنبه ولم يقل شيئًا فسوف يتم.

سبيد : النتيجة إذن، أن الزواج سيتحقق.

لونس : إنك لن تستطيع أن تحصل على هذا السر منى، إلا بالكناية والمثل.

سبيد : ليتنى أحصل عليه بهذه الطريقة.. ولكن ما قولك يا لونس فى أن سيدى قد أصبح مدلهًا مرموقًا؟

لونس : إننى لم أعرفه قط على خلاف ذلك.

سبيد : خلاف ماذا؟

لونس : بل أبله مرموق.. فكما تقرر أنت ذلك عنه

سبيد : بل إنك أيها الحمار الفاجر تخطئ فهمى.

لونس : يا أيها الأبله إننى لا أقصدك، وإنما أقصد سيدك.

سبيد : أنا أنبئك، أن سيدى قد أصبح مدلهًا ملتهب العاطفة.

لونس : أنا أنبئك أننى لا أهتم حتى ولو أحرق نفسه عشقًا إن شئت تعال معى إلى الحانة، وإن لم تشأ فأنت عبرانى يهودى، ولست جديرًا بأن تسمى مسيحيًا.

سبيد : لماذا؟

لونس : لأنه لا يوجد عندك نزوع كاف إلى الخير يجعلك تشرب خمر الكنيسة فى الأعياد المقدسة مع مسيحى، فهل أنت ذاهب؟

سبيد : فى خدمتك.

(يدخلان الحانة)

الفصل الثانى

المنظر السادس

(بروتيوس يمر ببطء فى طريقه إلى رصيف الميناء)

بروتيوس : أأترك جولياى. أأحنث بقسمى؟ وإذا أحببت سلفيا الجميلة.. أأحنث بقسمى؟ وإن أسأت إلى صديقى، فسوف أكون شديد الحنث بقسمى..بل إن تلك القوة التى دفعتنى إلى القسم أولا، هى التى تغرينى بهذا الحنث المثلث. فالحب هو الذى أمرنى أن أقسم والحب هو الذى يأمرنى أن أحنث. أيها الحب الذى أغرى، إن كنت قد أثمت فعلمنى أنا عبدك الذى أغريته أن أغفر الإثم. لقد كنت أعشق أولا نجمًا متلألئًا، أما الآن فإنى أعبد شمسًا علوية سماوية إن العهود التى أبرمت من غير روية، يجوز أن تحل عقدتها من روية. ويحتاج إلى العقل من يحتاج إلى الإرادة المصممة، ليدرب عقله على أن يستبدل السوء بما هو أحسن، ياللعار، يا للعار، أنت أيها اللسان لا تستحق الاحترام لإنك تصفها بالسوء، وهى التى فضلت سلطانها عليك وحلفت عشرين ألف قسم على الثبات على عهدها. وأنا لا أهجر لكى أحب، ومع ذلك فأنا أفعل. ولكنى أهجر الحب هناك لكى أحب هنا... وأنا أفقد جوليا، وأفقد فالنتين، ولكن إذا احتفظت بهما فلابد أن أفقد نفسى. وإذا فقدتهما فسأجد نفسى بفقدها. – أجد نفسى فى مقابل فالنتين، وسلفيا فى مقابل جوليا وأنا أعز على نفسى من صديقى، لأن الحب فى ذاته لا يزال أعز وأثمن. وسلفيا – ولتشهد السماء التى خلقتها جميلة – تظهر جوليا إلى جانبها حبشية سمراء. سأنسى أن جوليا تحيا، ذاكرًا أن حبى لها قد مات.. وسأعد فالنتين عدوًا، وأعمل على أن تكون سلفيا حبيبة أحلى.. وأنا لا أستطيع الآن أن أبرهن على إخلاصى لنفسى. دون أن أكيد لفالنتين.. إنه ينوى هذه الليلة أن يتسلق سلمًا من الحبال إلى نافذة مخدع سلفيا السماوية.. وقد اتخذنى ناصحًا، وأنا منافسه. والآن سأخبر أباها فى الحال بما يعتزمان من تنكر وفرار. فيبادر وهو فى ثورة غضبه بنفى فالنتين. لأنه يريد أن يزف ابنته إلى ثوريو فإذا ما غرب فالنتين، فإنى سأفسد بسرعة خطة ثوريو البليد.. فيا أيها الحب. أعرنى أجنحة، تطير بى لنيل مأربى، كما أعرتنى عقلا أدبر به هذه الخطة... (يمضى)

الفصل الثانى

المنظر السابع

(فيرونا. غرفة فى بيت جوليا

جوليا، تدرس خريطة، لوستا تخيط ثيابًا.)

جوليا : (ترفع رأسها) أشيرى على يا لوستا، أيتها الفتاة الرقيقة، أعينينى، بل إننى أناشدك فى حب رحيم، فأنت اللوح الذى تسجل عليه جميع أفكارى وتنقش، أن تعلمينى وتدلينى على وسيلة ناجعة لكى أقوم دون المساس بشرفى برحلة إلى حبيبى بروتيوس.

لوستا : يا أسفاه، إن الطريق شاق طويل.

جوليا : إن الحاج المؤمن الصادق الإيمان لا يعرف المشقة، وهو يذرع الممالك بخطواته الضعاف. فما بالك بمشقة تطير بأجنحة الحب إنها لأقل كثيرًا وبخاصة إذا كان الطيران إلى حبيب عزيز، كامل قدسى الكمال، كالسيد بروتيوس.

لوستا : خير لك أن تتجلدى حتى يعود بروتيوس.

جوليا : ألا تعلمين أن طلعته غذاء نفسى؟ ارحمى الجوع الذى أسقمنى، وجعلنى مشوقة إلى ذلك الغذاء فترة طويلة كل هذا الطول ولو أنك عرفت لمسات الحب فى أطواء القلب، لكان مثلك فى إطفاء جذوة الحب بالكلمات، كمثل الذى يشعل النار بالثلج.

لوستا : إننى لا أريد أن أطفئ نار حبك المستعر ولكنى أضعف من ثورة النار، حتى لا يرتفع لهيبها فوق حدود العقل.

جوليا : كلما زدت فى حصرها، ازداد أوراها. وأنت تعلمين أن التيار الذى ينساب هدائ الخرير إذا ما أوقف، فإنه يثور تبرمًا. وأما إذا لم يعق مجراه الجميل عائق، فإنه يصدح موقعًا، على أحجاره البراقة المتألقة، بالموسيقى الشجية ويقبل كل عشيبة يمر بها فى حجته قبلة رقيقة، ويهيم على وجهه فى منعطفات متعرجة كثيرة، ويبلغ المحيط المتسع، بعزيمته الغلابة. وعلى هذا دعينى أذهب، ولا تعترضى طريقى، وسأتجمل بالصبر كالدول الهادئ وسأحيل كل خطوة مضنية تسلية وترفيهًا حتى تبلغ بى الخطوة الأخيرة إلى حبيبى وهناك أستريح كما تستريح النفس المباركة فى الجنان بعد طول شقاء.

لوستا : ولكن فى أى زى ستسافرين؟

جوليا : لن أذهب فى زى امرأة حتى أمنع ذلك أى لقاء عابث من الفاجرين. فجهزى لى يا لوستا الرقيقة تلك الملابس التى تلائم الغلام التابع ذا السمعة الطيبة.

لوستا : وإذن فإنه يجب على عصمتك أن تقص شعرها.

جوليا : كلا، يا فتاة، سأعقصه إلى أعلى فى أشرطة من الحرير بعشرين عقدة، عجيبة، مزهوة من عقد الحب الصادق، فإن ظهورى فى سمت عجيب مزركش قد يلائم شابًا فى مقام أسمى مما أريد أن أظهر به

لوستا : على أى طراز – يا سيدتى – أجعل سراويلك.

جوليا : إن هذا يطابق قول التابع لسيده قل لى يا مولاى الجليل، على أى اتجاه تريد أن تبس نطاقك؟ إننى لأريد أحسن الأنماط التى تؤثرين يا لوستا.

لوستا : الأمر يتطلب يا سيدتي[٢٢] تزويد ملابسك بقطعة ظاهرة مزدانة من ملابس الذكور.

جوليا : ويحك يا لوستا، فان ذلك يبدو قبيح المنظر.

لوستا : إن الجورب المستدير الضيق يا سيدتى لا يساوى دبوسًا، إلا إذا جهزته بتلك القطعة من الثياب التى تشبك فيها الدبابيس.

جوليا : بقدر ما تحبيننى يا لوستا أعدى لى ما ترينه ملائما،على أن يكون لائقًا ولكن قولى لى يا فتاة، كيف يحكم الناس على لقيامى بمثل هذه الرحلة النزقة؟ لشد ما أخشى أن تجعلنى موضع تشهير.

لوستا : إذا كنت ترين ذلك فامكثى فى البيت إذن ولا تسافرى.

حوليا : كلا، ذلك ما لن أفعل.

لوستا : لا تفكرى اذن فى الفضيحة واذهبى.. فان رضى بروتيوس عن رحلتك عند وصولك إليه فليس بهام أن يسخط أحد عليك هنا بعد سفرك ولكن أخشى أن يعز رضاه على كل حال .

جوليا : هذا يا لوستا أقل ما أخشاه، فألف يمين أقسمها، وبحرًا من الدموع سكبها، وبراهين أخرى تثبت الحب الذى لا يحد كل ذلك يضمن لى أن أكون موضع ترحيب بروتيوس.

لوستا : هذه، يا سيدتى، فى متناول الرجال الخادعين.

جوليا : إن السفلة هم الذين يتوسلون بها لأغراض سافلة ولكن النجوم التى حكمت فى يوم ميلاد بروتيوس أصدق وأشد وفاء. فإن كلماته مواثيق وإيمانه بشائر بالمستقبل، وجهه صادق، وأفكاره طاهرة، ودموعه رسل مخلصة أرسلها قلبه، وقلبه بعيد عن الخيانة بعد السماء عن الأرض.

لوستا : أدعو الله أن يحقق بروتيوس ذلك عندما تصلين إليه.

جوليا : والآن، ما دمت تحبيننى فلا تظلميه، بان تسيئ الظن بإخلاصه ولن تكونى جديرة بحبى، إلا بحبك إياه. وهلم معى الآن إلى غرفتى لتكتبى ما أحتاج إليه، لكى تزودينى فى رحلتى المشتاقة إليه وأنا أترك جميع ما أملك تحت تصرفك – متاعى – ضياعى – سمعتى، وكل ما أطلبه فى مقابل ذلك، أن ترحلينى فى الحال. تعالى، لا تعترضى، وهلم لما نحن فيه فقد نفد صبرى من تأخرى.

(تخرجان)

الفصل الثالث

المنظر الأول

(ميلان، أمام قصر الدوق – الدوق – ثوريو وبروتيوس يتقدمون)

الدوق : **يا سيد ثوريو، عن إذنك لحظة، أرجوك فإن عندنا بعض الأسرار، نريد أن نتحدث بها (ثوريو ينحنى وينصرف) والآن، قل لى، يا بروتيوس ماذا تريد منى؟**

بروتيوس : **يا مولاى الجليل، إن ما أريد أن أكشف لك عنه يناشدنى حق الصداقة أن أخفيه، ولكن عندما أتذكر أياديك السابقة التى أسديتها إلى ولو إننى لا استحقها – أجد الواجب يلح على أن أفصح عما لم يكن ليستطيع ، أى نفع دنيوى، أن يستخلصه منى.. ألا فاعلم، أيها الأمير العظيم، أن السيد فالنتين صديقى، قد عزم هذه الليلة أن يختطف ابنتك.. ولقد اطلعت، بطريقة خاصة، على هذا التدبير. وإنى لأعلم انك صممت على أن تزفها إلى ثوريو الذى تكرهه ابنتك الرقيقة، واختطافها منك على هذا النحو خليق أن يكدر مزاجك وأنت فى هذه السن.. وهكذا رأيت قيامًا بواجبى أن أحول بين صديقى وبين ما انتوى وآثرت ذلك على أن أخفى الأمر عنك فألقى على رأسك عبئًا من الأحزان يحملك إلى قبرك قبل الأوان.**

الدوق : يا بروتيوس، إننى أشكرك لرعايتك المخلصة التى سأظل ما حييت أسيرها حتى أكافئك عليها أنى كثيرًا ما لاحظت حبهما عندما كانا يظنان أننى مستغرق فى النوم، وكثيرا ما عزمت أن أطرد السيد فالنتين من صحبتها ومن بلاطى.. ولكنى خشيت أن أتمادى فى حذرى، فأعرض الرجل لفضيحة لا يستحقها، وهو اندفاع قد تجنبه إلى الآن وقد منحته عنايتى الرفيعة، حتى أكشف ما أسررت به أنت الآن إلى. ولكى تعلم احتياطى لذلك فإنى أدرك أن الشباب الغض يمكن إغواؤه بسرعة فإنى أجعلها تبيت ليلا فى برج علوى احتفظ أنا بمفتاحه دائما وهكذا لا يمكن أن تختطف.

بروتيوس : ولتعلم يا مولاى النبيل أنه ابتكر وسيلة، تعين على الصعود إلى نافذة غرفتها لينزلها بسلم من الحبال.. ومن أجل ذلك انصرف الآن العاشق الفتى وسيأتى بالحبل من هذا الطريق فى الحال فإذا شئت استطعت أن تعترض سبيله. ولكن يا مولاى الطيب، عليك أن تقوم بذلك بدهاء فائق حتى لا يتجه ظنه إلى أننى بحت بالسر. فان حبى لك، لا كراهتى لصديقى، هى التى جعلتنى أفشى ذلك التدبير.

الدوق : أقسم بشرفى، أنه لن يعرف إننى اطلعت منك على شىء خاص بهذا الموضوع.

(يخرج)

بروتيوس : ودعاً يا ملاوي، فالسيد فالنتين قادم (يعود إلى داخل القصر)

(فالنتين يمر مسرعًا يرتدى عباءة وحذاء طويلا)

الدوق : يا سيد فالنتين، إلى أين أنت ذاهب بهذه السرعة؟

فالنتين : عن أذنكم يا سيدى، إن رسولا ينتظرنى ليحمل رسائلى إلى أصدقائى وأنا ذاهب لتسليمها إليه.

الدوق : أهى على جانب كبير من الأهمية؟

فالنتين : إن مدلولها إنما يدور حول صحتى وسعادتى فى بلاطك.

الدوق : إذن، لا بأس..فلتنتظر معى لحظة. فإنى أريد أن أفضى إليك ببعض الشئون التى تمسنى من قرب.. وهى تتطلب منك أن تكون أمينا على سرها.

(يمسكه من ذراعه) إنك لا تجهل أنى ارتأيت أن أزوج صديقى السيد ثوريو، من ابنتى.

فالنتين : أعرف ذلك جيدًا، يا مولاى، ويقينًا إن الصفقة قيمة شريفة. وإلى جانب ذلك فان السيد كله فضل وجود، وجاه، وخلائق تليق بزوجة كابنتك الجميلة ألا تستطيع سيادتك أن تستميلها ليروق فى نظرها.؟

الدوق : كلا صدقنى، إنها برمة، فظة، جموح، متكبرة، عاصية، عنيدة، تفتقر إلى الإحساس بالواجب، وهى لا تراعى أنها ابنتى، ولا تخشانى كما يخشى الأب. واسمح لى أن أقول لك، أن كبرياءها – بعد أن شاورت نفسى فيه – قد حول حبى عنها، وكلما فكرت فى أن ما بقى من عمرى كان ينبغى أن يكرم بواجبها البنوى، حزمت أمرى الآن على أن أتخذ لى زوجة وأطردها لتذهب إلى من يقبلها.. وليكن جمالها هو كل صداقها .أما أنا وأما ممتلكاتى فهى لا تعرف قيمتها.

فالنتين : وماذا، تريدنى، سيادتك أن أفعل فى هذا الأمر؟

الدوق : إن هنا فى فيرونا سيدة أحبها ولكنها مترفعة خجول، وهى لا تقدر فصاحتى المكتملة.. ولذلك أريدك أن تكون الآن مرشدى، لإننى نسيت الغزل منذ أمد بعيد، ثم إن ذوق العصر قد تغير، كيف وبأية وسيلة أتصرف فى أمرى التصرف الذى يرضى عينيها المتألقتين كالشمس؟

فالنتين : أكسبها بالهدايا إذا لم تكن تقدر الكلمات، فكثيرًا ما تكون الجواهر الخرساء أسرع لأن تحول بأسلوبها الصامت، عقل المرأة .

الدوق : ولكنها احتقرت هدية أرسلتها إليها.

فالنتين : إن المرأة تحتقر أحيانًا أحسن ما يوافقها.. أرسل إليها هدية أخرى.. ولا تيأس منها قط . لأن الاحتقار أول الأمر يزيد الحب، فيما بعد، فان كانت تعبس فليس ذلك عن كره لك، ولكن لكى تولد فيك قدرًا أكبر من الحب.. وإذا كانت تلوم فإنها لا تعنى أن تصرفك عنها فمن المؤكد انه حتى البلهاء يعتريهم الجنون إذا هجرهم الناس، ولا تحجم، مهما قالت، فان كانت تقول لك اذهب فإنها لا تعنى "أبعد". فتملق وامتدح واثن ومجد ما فيهن من صفات الحسن فإن كن سمروات سمرة ما بعدها سمرة فقل إن لهن وجوه الملائكة. فالرجل الذى له لسان، ولم يستطع أن يفوز بالمرأة بلسانه، ليس برجل.

الدوق : ولكن المرأة التى أعنى خطبها أصدقاؤها لشريف، فتيى له مكانته ومنعت بشدة من أن يتردد عليها الرجال، فلا يستطيع رجل أن يزورها فى رائعة النهار.

فالنتين : إذن فلتكن زيارتها ليلا.

الدوق : أجل، ولكن الأبواب موصدة، والمفاتيح فى مكان حريز، حتى لا يستطيع رجل أن يخلص إليها بالليل..

فالنتين : والمنافذ الأخرى ألا يستطيع أحد أن يدخل من نافذتها؟

الدوق : إن غرفتها مرتفعة بعيدة جدًا عن الأرض مائلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتسلق إليها دون أن يتعرض لمجازفة أكيدة بحياته.

فالنتين : إذن، فإن سلمًا بارع الصنع من الحبال يقذف إلى أعلى ويزود بزوج من الخطاطيف المثبتة، قد يفى بتسلق برج آخر يشبه برج هيرو ويستطيع لياندر[٢٣] الشجاع أن يجازف بتسلقه.

الدوق : والآن، وأنت رجل شريف الحسب والنسب أشِرْ على من أين أحصل على مثل هذا السلم؟

فالنتين : ومتى تريد أن تستعمله؟ أرجوك يا سيدى أن تخبرنى بذلك؟

الدوق : فى هذه الليلة نفسها لأن الحب كالطفل يتوق إلى كل ما يمكن أن يحصل عليه.

فالنتين : سأحضر لك هذا السلم حوالى الساعة السابعة.

الدوق : ولكن، استمع إلى.. إننى أذهب إليها بمفردى فما هى أفضل الطرق لنقل السلم إلى هناك؟

فالنتين : سيكون خفيفًا يا سيدى حتى لتستطيع أن تحمله تحت عباءة أيا كان طولها.

الدوق : وهل تفى بالغرض عباءة فى طول عباءتك؟

فالنتين : أجل يا مولاى الجليل

الدوق : إذن دعينى أجرب عباءتك. فسأحضر عباءة فى مثل طولها.

فالنتين : إن أى عباءة لفتى بالغرض يا مولاى.

الدوق : ترى كيف يبدو شكلى، إذا ارتديت عباءة؟

أرجوك، أن تدعنى أجربها (يجذب عباءة فالنتين فيسقط السلم ومعه رسالة على الأرض) ما هذه الرسالة ماذا فيها – إلى سلفيا؟ وها هى ذى وسيلة تصلح لغرضى، سأكون جسورًا بحيث أفض الرسالة دفعة واحدة (يقرأ) "إن أفكارى تستكن مع سلفيا حبيبتى كل ليلة وهى إماؤها المسخرة لى أنا الذى أبعث بها طائرة إليها. فيا ليت صاحبها يستطيع أن يغدو ويروح فى خفتها فإنه إذ ذاك يستطيع أن يضع نفسه حيث ترقد هذه الأفكار التى لا حس لها إن رسلى من أفكارى تجد راحتها فى صدرك الطاهر بينما أنا ملكها، الذى ألح عليها فى الذهاب إلى هناك ألعن الحظوة التى نالتها لأننى أنا نفسى أريد ما وفق إليه عبيدى من حظ وأنا ألعن نفسى لأننى أنا الذى أرسلتها لأنها استقرت حيث كان ينبغى أن يكون مولاها " ثم ما هذا؟ "سلفيا فى هذه الليلة سأحررك وأطلق سراحك". الأمر إذن كذلك.. وهذا هو السلم لتحقيق الغرض (يتجه إلى فالنيتن) أنت يا فيثون(٢٤) لأنك ابن ميروب أتبغى أن تقود عربة السماء وتحرق العالم بحماقتك الجريئة أتريد أن تبلغ النجوم لأنها تضئ لك السبيل. أغرب أيها الوضيع الطفيلى، أيها العبد التياه بنفسه وامنح بسماتك الخادعة للاتى على شاكلتك، واعلم أن لك فى صبرى وهو يفوق ما تستحق فرصا لمغادرة البلاد.. فاشكرنى على هذا الفضل الجديد الذى يفوق كل ما أسديت إليك، مما لا تستأهله فإن تباطأت فى المكث فى بلادى أكثر من الزمن الذى تتيحه لك أسرع سفرة لمغادرة بلاطنا الملكى، فوحق السماء لسوف يتجاوز غضبى حبى لابنتي.. أو لك.. (يلقى فالنتين بنفسه على قدمى الدوق) أغرب فلن أسمع إلى اعتذارك الأجوف. ولكنك إذا كنت تحب حياتك فأسرع بالانصراف من هنا (يدور على عقبه ويدخل)

فالنتين : (وقد خر على وجهه) ولماذا لم يدركنى الموت بدلا من أن أعيش معذبًا؟

والموت بالنسبة لى هو مفارقة نفسى، وسلفيا هى نفسي.. ففراقها هو فراق نفسى لنفسى. آه.. أيها الفراق الميت كيف يكون النور نورًا إذا لم يكن فى المقدور إبصار سلفيا؟وكيف يكون السرور سرورًا إذا لم تكن سلفيا قريبة؟

اللهم إلا أن أتخيل أنها قريبة وأتزود من طيف الكمال.وإذا لم أكن قريبا من سلفيا فى هدأة الليل، فإن العندليب لا يصدح بالموسيقى.. وإذا لم يتح لى أن أتملى بالنظر إلى سلفيا فى ضوء النهار فلن يكون لى نهار أنظر إليه. أنها روحى ولن أعيش إذا لم أنل رضاها ولم أتلق النور ولم أعزز بتأثير سلطانها الجميل وأنا لا أنجو من الموت بأن أهرب من الحكم على بالموت. وإن أبطأت فسأكون طوع أمر الموت وفى خدمته. ولكن إذا فررت من هنا فسوف أفر من حياتى (يدفن وجهه فى الأرض) (بروتيوس ولونس يخرجان من القصر)

بروتيوس : انطلق يا غلام... انطلق.. انطلق وابحث عنه.

لونس : (يجرى هنا وهناك وينادى بصوت عال) هيه.. هيه.

بروتيوس : ماذا ترى؟

لونس : من نبحث عنه (يتشمم فالنتين) ما من شعرة فى رأسه ولكن شعار الحب.

بروتيوس : (ينحنى عليه) فالنتين..

فالنتين : لا..

بروتيوس : من إذن؟ روحه؟

فالنتين : ولا هذا!

بروتيوس : وماذا إذن؟

فالنتين : لا شيء.

لونس : وهل اللاشيء يتكلم؟ يا سيدى، أأضرب؟

بروتيوس : ومن ذا الذى تضرب؟

لونس : لا شيء.

بروتيوس : يا وغد، كف يدك..

لونس : لماذا يا سيدى، فسوف أضرب لا شيء.. أرجوك (يرفع عصاه)

بروتيوس : أيها العبد أقول لك كف يدك.. يا صديقى فالنتين، كلمة واحدة.

فالنتين : لقد صمت أذناى فلم تعودا تستطيعان أن تسمعا الأخبار السارة فلقد تملكهما من الأخبار السيئة ما يكفى

بروتيوس : إذن، فسأدفن أخبارى فى الصمت الأخرس، لأنها ثقيلة على السمع، سيئة

فالنتين : (يرفع رأسه) وهل ماتت سلفيا؟

بروتوس : كلا يا فالنتين..

فالنتين : لا وجود لفالنتين أبدًا عند سلفيا القدسية هل خانت عهدى؟

بروتيوس : كلا يا فالنتين.

فالنتين : لن يكون لسلفيا عاشق يحبها إذا هى حنثت باليمين. ما لديك من الأخبار؟

لونس : يا سيدى، هناك بلاغ رسمى بأنك نفيت([٢٥]) من البلاد.

بروتيوس : بأنك قد نفيت. هذه هى الأخبار.. نفيت من هنا، ومن سلفيا ،ومن صديقك..

فالنتين : لقد شبعت من هذا الكرب من قبل، والمزيد من يصيبنى بالتخمة.. هل علمت سلفيا أننى نفيت؟

بروتيوس : أجل.. أجل.. وذرفت على هذا المصير النافذ الذى لا رجوع فيه. بحرًا من اللالئ المذابة، يسميها البعض دموعًا، وقدمتها عند قدمى أبيها الغليظتين، ثم جثت على ركبتيها مقدمة نفسها الخاضعة مع دموعها. ولوت ذراعيها اللتين جملهما البياض وكأنما أصابهما الكرب الآن فحالتا فى بياض كالشمع. لكن الكربتين الجاثيتين، واليدين الصافيتين المتضرعتين والزفرات الحزينة، والأنين المكتوم، والعبرات الغضة المسكوبة. ما استطاعت أن تنفذ إلى مولاها الفظ. وقد أصر على أنه لابد أن يقتل فالنتين إذا ظفر به.وفوق ذلك فان شفاعتها أحنقته. حتى إن ضراعتها له ليعدل عن نفيك جعلته يأمر بزجها فى سجن قريب ملحًا فى توعدها بالإقامة المؤبدة فيه.

فالنتين : كفى.. إلا إذا كانت الكلمة التالية التى ستنطق بها ذات تأثير خبيث فى حياتى. فأن كانت كذلك فأتوسل إليك أن تنفثها فى أذنى كأنها صلاة موت أخيرة، تختم همومى التى لا نهاية لها .

بروتيوس : كف عن البكاء، على ما لا حيلة لك فيه وتدبر كيف تلتمس العون على أحزانك.. فالزمن ينبت كل خير ويتعهده وإن بقيت هنا فلن تستطيع أن ترى حبيبتك.. وفوق ذلك، فإن بقاءك سيختصر حياتك فتموت قبل الأوان. إن الأمل عصا المحب.. فارحل عن هذا المكان متوكئاً عليه واستخدمه لتقضى على أفكارك البائسة.. وتستطيع رسائلك أن تكون هنا ولو كنت أنت بعيدًا وهى، إذا كتبت إلى، لسوف تسلم بل سترقد فى صدر حبيبتك الأبيض بياض اللبن.. (فالنتين ينهض) إن الزمن الآن لا يعين على عتاب أو احتجاج فتعال فسوف أوصلك إلى باب المدينة (بروتيوس يقوده منصرفًا) وقبل أن أفارقك، تبسط فى الحديث عن كل ما يمس شئون غرامك. وما دمت تحب سلفيا فتنكب الخطر من أجلها لا من أجلك أنت وتعال معى.

فالنتين : أرجوك يا لونس، إذا رأيت غلامى فاسأله أن يسرع وأن يلقانى عند الباب الشمالى.

بروتيوس : اذهب، يا هذا وابحث عنه.. تعال يا فالنتين.

فالنتين :آه، يا عزيزتى سلفيا، يا فالنتين المنكود (ينصرفان)

لونس : انظر يا هذا، أنا أبله، ومع ذلك فلى من العقل ما يجعلنى أظن أن سيدى رجل وغد، وهذا فى الواقع أنه وغد واحد وليس الآن على قيد الحياة إنسان يعرف إننى أحب.. ومع ذلك فأنا أحب ولا يستطيع زوج من الخيل أن يخرج هذا السر منى. ولا اسم من أحبها .ومع ذلك فهى امرأة، ولكن أى امرأة، لن أبوح باسمها إلى نفسى. ومع ذلك فهى جارية تحلب البقر.. ومع ذلك فهى ليست جارية.. لأن حول سلوكها شائعات.. ومع ذلك فهى جارية لأنها جارية سيدها وتخدمه بالأجر (يفتش فى جيوبه) وتفوق فضائلها فضائل الكلب الصغير الأليف وهذا بلا شك كثير على مسيحية فقيرة (يخرج ورقة) وها هو بيان بأحوالها: أول بند أنها تستطيع أن تبحث وتحمل لعمرى أن الحصان لا يستطيع أكثر من ذلك، كلا إن الحصان لا يستطيع أن يبحث انه يستطيع أن يحمل ليس غير. فهى خير من فرس منهوك وفقرة أخرى إنها تستطيع أن تحلب اللبن، أسمع أن هذه لفضيلة حلوة، فى فتاة نظيفة اليدين.

(يدخل سبيد)

سبيد : كيف حالك الآن يا سيد لونس؟ ماذا من أخبار فى براعة فنك؟

لونس : فى سفين([٢٦]) سيدى، إنها لفى البحر.

سبيد : إن داءك القديم لم يزل كما هو، تحول كل لفظ عن معناه.. ما الأخبار إذن فى صحيفتك؟

لونس : أسود أخبار سمعتها فى حياتك.

سبيد : ماذا يا رجل وكيف سوادها.؟

لونس : إنها لسوداء كالحبر.

سبيد : دعنى أقرأها.

لونس : تبا لك يا غبى إنك لا تستطيع أن تقرأ.

سبيد : تكذب... بل أستطيع.

لونس : سأجربك قل لى من أنجبك؟

سبيد : عجبا، ابن جدى.

لونس : أوه، أيها الصعلوك الأمى ،انه ابن جدتك.. هذا يدل على أنك لا تستطيع القراءة.

سبيد : تعال يا غبى تعال.. جربنى فى صحيفتك.

لونس : هاك هى (يناوله الورقة) وليوفقك القديس نيقولا([٢٧])

سبيد : فقرة وحيدة تستطيع أن "تخلب"

لونس : أجل، أما هذا فتستطيعه.

سبيد : فقرة أخرى تخمر جعه طيبة

لونس : ومنها جاء المثل، هناء قلبك، فى أن تضع جعة طيبة([٢٨])

سبيد : فقرة، تستطيع أن تخيط الثياب.

لونس : هذا مثل قولك، أتستطيع خط.. كذا([٢٩])

سبيد : فقرة تستطيع أن تنسل([٣٠])

لونس : وما حاجة الرجل إلى نسل من امرأة ما دامت تستطيع أن تنسج هل جوربًا؟

سبيد : فقرة تستطيع أن تغسل وتجلى..

لونس : هذه فضيلة خاصة لا تحتاج معها إلى أن تصنع([٣١]) وتجلد.

سبيد : فقرة تستطيع أن تغزل..

لونس : سأستمتع بالدنيا وكأنما الدنيا على عجلات.

سبيد : فقرة إن لها فضائل كثير، لا يمكن أن تسمى كلها.

لونس : لكأنك تقول عن لها فضائل دعية لا تعرف آباءها على التحقيق ومن ثم فليست لها أسماء.

سبيد : ولنتتبع هنا نقائصها.

لونس : وردت فى أعقاب فضائلها مباشرة.

سبيد : فقرة إنها لا تقبل صائمة لبخرها.

لونس: إن هذا الخطأ يمكن أن يصلح بالإفطار.. تابع القراءة...

سبيد : فقرة إن لها فمًا عذبًا.

لونس : هذا يعوض بخرها.

سبيد : فقرة تتحدث فى نومها.

لونس : لا بأس من ذلك وهكذا لا تنام أو يزلق لسانها أثناء حديثها.

سبيد : فقرة، إنها لتبطئ فى الكلام.

لونس : إنك لوغد يا من دونت ذلك مع نقائصها. فالإبطاء فى الكلام لهو الفضيلة الوحيدة للمرأة.. أرجوك أن تمحوها وأن تضعها على أنها فضيلتها الأولى.

سبيد : فقرة إنها لمتكبرة.

لونس : امح هذا أيضًا.. إنها تراث حواء، ولا يمكن أن يستل منها.

سبيد : فقرة، ولا أسنان لها.

لونس : لا يهمنى ذلك مطلقًا.. لإننى أحب فتات الخبز.

سبيد : فقرة، إنها شكسة.

لونس : أحسن ما فى الموضوع أنها ليست لها أسنان تغض بها.

سبيد : فقرة، أنها تحتسى دائما ما تصنع من الخمر وتمتدحه.

لونس : إذا كانت خمرها طيبة فسوف تحتسيها.. فإذا لم تفعل فسوف أحتسيها أنا لأن الأشياء الطيبة يجب احتساؤها وامتداحها.

سبيد : فقرة، إنها مسرفة جدا.

لونس : من ناحية لسانها لا تستطيع لأنه مكتوب أنها مبطئة فى الكلام. أما من ناحية حافظة نقودها فإنها لن تستطيع الإسراف لأننى سأحافظ على قفلها دائما ..أما إذا أسرفت فى شيء آخر فلها ذلك لأن هذا ما لا قبل لى به..

هذا حسن استمر...

سبيد : فقرة، إن لها شعرًا أكثر من العقل([٣٢]) وأخطاء أكثر من الشعر وثروة أكثر من الأخطاء.

لونس : قف عندك سأظفر بها. لقد ترددت فى أنها توافقنى أو لا توافقنى فى هذه الفقرة الأخيرة مثنى وثلاث. فاتل على الفقرة مرة أخرى.

سبيد : فقرة، إن لها شعرا أكثر من العقل.

لونس : شعرًا أكثر من العقل. ربما استطعت إثبات ذلك فإن غطاء الملح يحفى الملح، ولذلك فان الغطاء أكبر من الملح، وإذن فالشعر الذى يغطى العقل أكثر من العقل لأن الأكبر يخفى الأصغر، ثم ماذا بعد؟

سبيد : وأخطاء أكثر من الشعر.

لونس : هذا فظيع.. ليت ذلك العيب لم يذكر.

سبيد : ثروة أكثر من الأخطاء.

لونس : إن هذه العبارة لتجعل الأخطاء لطيفة حسنة. سأظفر بها.. وإذا تم الزواج والتكافؤ فلا شيء سأظفر بها... وإذا تم الزواج والتكافؤ فلا شيء مستحيل..

سبيد : ثم ماذا بعد؟

لونس : إذ ذاك لأقولن لك إن سيدك ينتظرك عند الباب الشمالى للمدينة.

سبيد : ينتظرني..

لونس : ينتظرك.. أجل.. ومن تكون؟ لقد انتظر من هم أفضل منك.

سبيد : وهل يجب أن أذهب إليه؟

لونس : بل يجب أن تعدو إليه لإنك تأخرت طويلا ،ولذلك فإن مجرد الذهاب لا يكاد ينفع فى شيء.. يجب أن تعدو.

سبيد : لماذا لم تخبرنى من قبل؟ فلتصب خطاباتك الغرامية بالداء الوبيل.

(ينصرف عدوًا)

لونس : والآن هل يجلد لقراءة خطابى. يا للعبد الجلف، الذى يتطفل على أسرار الناس.. سأتبعه لكى أبتهج بما يلقاه من سيده.

(يتعبه)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

(ميلان – غرفة فى قصر الدوق

الدوق.. وثوريو.)

الدوق : يا سيد ثوريو، لا تخش شيئًا، فإنها سوف تحبك. لقد غرب فالنتين عن ناظريها.

ثوريو : ولقد بلغ احتقارها لى، أقصاه منذ نفى، فتبرأت من صحبتى وسخرت منى، وإننى لايائس من أن أظفر بها.

الدوق : إن الحب، هذا الإمبراطور الضعيف، مثل تمثال مدفون فى جوف الثلج.. فما هى إلا ساعة حرارة حتى يذوب ويفقد شكله.. وقليل من الوقت كفيل بإذابة أفكارها المتجمدة؛ ولسوف تنسى فالنتين الذى لا قيمة له..

(يدخل بروتيوس)

ماذا عندك، يا سيد بروتيوس، هل رحل مواطنك، طبقًا لأمرنا الإمبراطورى؟

بروتيوس : رحل يا مولاى الجليل.

الدوق : لقد كان وقع رحيله على ابنتى أليمًا.

بروتيوس : قليل من الزمن ، يا مولاى، يقتل هذا الحزن.

الدوق : هذا ما أعتقده. ولكن ثوريو لا يرى ذلك يا بروتيوس. إن تقديرى الحسن لك، ولقد أظهرت شيئا من أمارات الجدارة بهذا التقدير، يجعلنى أميل إلى أن أستشيرك.

بروتيوس : لا تجعلنى أطمع فى عطفك بأكثر مما أظهره من ولاء لعظمتك.

الدوق : إنك تعلم كم ذا أرغب فى تحقيق الزواج بين السيد ثوريو وابنتى؟

بروتيوس : أعلم يا مولاى.

الدوق : وأظنك أيضًا لا تجهل كيف أنها تعارض تنفيذ إرادتى.

بروتيوس : لقد فعلت ذلك يا مولاى عندما كان فالنتين هنا،

الدوق : أجل إنها لا تزال متشبثة بعنادها.. وماذا عسانا أن نفعل لنجعل الفتاة تنسى حب فالنتين، وتحب السيد ثوريو.

بروتيوس : إن أفضل طريقة أن نحط من قدر فالنتين ونصفه بالخديعة، والجبن وضعة الأصل. وهى ثلاث صفات تمقتها المرأة مقتًا شديدًا.

الدوق : أجل ،ولكنها سوف تظن أن هذا القول مبعثه الكراهية.

بروتيوس : أجل ، إذا حدثها به عدوٌ له. لذلك يجب أن تقال فى الوقت المناسب، ومن شخص تراه صديقًا لفالنتين.

الدوق : إذن يجب أن تقوم أنت بالانتقاص من قدره.

بروتيوس : وهذا يا مولاى ما أكره القيام به.. وإنها لمهمة عسيرة على رجل شريف وبخاصة إذا كانت ضد صديقه الحميم.

الدوق : وإذا كانت كلمتك الطيبة لا تنفعه فإن انتقاصك من قدره لن يضره، لذلك فإن المهمة لا ضارة ولا نافعة وخاصة أنه صديق الذى يرجوك أن تؤديها.

بروتيوس : لقد انتصر رأيك، يا مولاى.. فإن استطعت أن أقوم بالمهمة، وهجوته بما وسعنى أن أهجوه فإنها لن تلبث طويلا على حبه بل إنى أقول أن هذا يستأصل بها لفالنتين، ولكن لا يترتب على ذلك أنها ستحب السيد ثوريو.

ثوريو : لذلك يجب عليك، عندما تستل حبها منه مخافة أن يحل حبها فلا يصبح من نصيب أحد، أن تعمل على أن تثبته لى.. ويجب أن تصل إلى ذلك بمدحى بقدر ما تنتقص من قدر فالنتين.

الدوق : ونحن يا سيد بروتيوس يمكن أن نعهد اليك بهذه المهمة لأننا نعلم، طبقا لما أخبرنا به فالنتين، إنك متعبد للحب، ثابت عليه، لا تستطيع المبادرة بالتمرد عليه، أو تغيير رأيك ،وبهذا الضمان، سوف تكون لك حرية التردد على سيلفيا حيث تستطيع أن تتوسع فى الحديث إليها.. لأنها مثقلة كئيبة، محزونة، وستكون سعيدة بك من أجل صديقك؛ فتستطيع أن تهدئ من روعها ،وأن تجعلها بإقناعك إياها تكره الفتى فالنتين وتحب صديقى.

بروتيوس : سأفعل قدر استطاعتى، ولكنك يا سيد ثوريو لست أريبًا كما ينبغى.. فيجب أن تلقى شباكك لتصيد رضاها بقصائد ضارعة، قد أفعمت قوافيها بعهود ثابتة على التضحية والإخلاص...

الدوق: أجل ما أقوى سلطان الشعر الصادر عن إلهام سماوى.

بروتيوس : قل إنك على مذبح جمالها تضحى بدموعك، وتنهداتك وقلبك ..اكتب إليها حتى يجف مدادك.. ثم بلله بدمعك مرة أخرى.. وصغ بعض أبيات عاطفية تكشف لها كيف شفعت المداد بالدمع.. لأن أوتار قيثارة أرفيوس(٣٣) كانت مصنوعة من أعصاب الشعراء فكانت لذلك لمساته الذهبية تلين الحديد والصخر وتروض النمور وتجعل الحيتان الضخام تهجر الأعماق التى لم يسبر غورها لترقص على الرمال. وعليك بعد قصائدك الحزينة المروعة أن تزور نافذة مخدعها مع فرقة موسيقية مطربة، ثم وفق على آلاتهم الموسيقية طائفة من أفكارك المضطربة الحزينة، ذلك أن صمت الليل الرهيب يوافق مثل هذا الأنين العذب الشاكى فإن لم يكسبك هذا قلبها فلا شيء آخر يمكن أن يكسبك إياه..

الدوق : إن هذا الإرشاد يدل على أنك وقعت فى حب.

ثوريو : نصيحتك، سأنفذها هذه الليلة. ولذلك يا بروتيوس اللطيف يا مرشدى دعنا نذهب إلى المدينة فى الحال لنتخير بعض السادة البارعين فى الموسيقى. فإن عندى مقطوعة غزلية تفى بالغرض وتصلح استهلالا لتنفيذ نصيحتك الرشيدة.

الدوق : هلم إلى العمل، أيها السيدان

(يدور على عقبيه لينصرف)

بروتيوس : (يتبعه) سنبقى فى خدمتك إلى ما بعد العشاء وبعد ذلك نقرر إجراءات خطتنا.

الدوق : بل اذهبا لتنفيذها من الآن. وأنا أعفيكما من الواجب نحوي.

(يدخل الدوق لتناول العشاء، ويترك بروتيوس وثوريو والقصر)

الفصل الرابع

المنظر الأول

(طريق يخترق غابة ثلاثة من الطريدين، يحملون قسيًا وسهامًا يراقبون الطريق من فوق أجمة. يرى فالنتين وسبيد يقتربان.)

الطريد الأول : أيها الرفيقان، اثبتا.. إننى أرى مسافرًا.

الطريد الثانى : وإذا كانوا عشرة فلا تحفل واطرحهم أرضًا.

(يخطون إلى الأمام ويسددون إليهما قسيهم)

الطريد الثالث : قف أيها السيد، وألق ما عندك، وإذا لم تقف فسنرغمك على الجلوس ونأخذ كل ما معك غصبًا.

سبيد : سيدى، قضى علينا، هؤلاء هم الأشرار الذين يخافهم المسافرون خوفًا شديدًا.

ڤالنتين : (بهدوء) يا أصدقائي.

الطريد الأول : ليس الأمر كما تدعى يا سيدى. نحن أعداؤك

الطريد الثانى : الزما الهدوء. ولنستمع إليه.

الطريد الثالث : أجل. بحق لحيتى سنستمع إليه لأنه رجل جميل الصورة

ڤالنتين : إذن فاعلموا أن ما معى من المال ضئيل لا يهمنى فقده وأنا رجل قد ألمت به الخطوب.. وأموالى كلها هى هذه الثياب المتواضعة، فإن صممتم على أن تسلبونى إياها فإنكم تكونون قد أخذتم كل ما عندى بالتمام والكمال.

الطريد الثانى : وما وجهتك؟

فالنتين : فيرونا.

الطريد الثانى : ومن أين أنت قادم؟

فالنتين : من ميلان.

الطريد الثالث : هل أقمت هناك طويلا؟

فالنتين : حوالى ستة عشر شهرًا وكان من الممكن أن أبقى هناك مدة أطول لو أن الحظ المنكود لم يعترض طريقي.

الطريد الأول : ماذا، أنفيت من هناك؟

فالنتين : نعم، نفيت.

الطريد الثانى : ولأى جريرة.؟

فالنتين : من أجل الجريرة التى يعذبنى الآن قصها. قتلت رجلا، أنا على قتله كثير الندم، ولكن مع ذلك أجهزت عليه فى القتال فى شهامة الرجال دون خداع أو خيانة وضيعة.

الطريد الأول : إذن فلا تندم على فعلتك، إذا كانت قد حدثت كما وصفت. ولكن أنفيت من أجل خطأ صغير كهذا؟

فالنتين : نعم نفيت وما أرانى إلا سعيدًا بهذا المصير.

الطريد الأول : أتعرف لغات؟

فالنتين : سياحاتى صبيا فى دراستها جعلتنى سعيدًا ولولاها لابتأست كثيرًا([٣٤])

الطريد الثالث : قسمًا بصلعة روبن هود([٣٥]) بل قسمًا بالراهب الفذ إن هذا الفتى ينبغى أن يكون رئيسًا لعصابتنا الوحشية المنطلقة.

الطريد الأول : سنؤمره علينا. أيها السادة كلمة.

(يتحدثون على انفراد)

سبيد : سيدى، فلتكن واحدًا منهم. إن عملهم ضرب شريف من اللصوصية.

فالنتين : اهدأ، يا وغد.

الطريد الثانى : أخبرنا عن هذا – هل عندك شىء يشغلك؟

فالنتين : لا شيء غير حظى.

الطريد الثالث : اعلم إذن، أن بعضنا من الأشراف الذين طردوا من صحبة الحكام، بدافع ثورة الشباب المتهور. لقد نفيت، أنا نفسى، من فيرونا، للشروع فى اختطاف سيدة، كانت وريثة الدوق وابنة عمه.

الطريد الثانى : ونفيت أنا، أيضًا من منتوا، لإننى فى سورة غضبى طعنت سيدًا، طعنة نافذة إلى القلب.

الطريد الأول: ونفيت أنا من أجل جرائم صغيرة كهذه، ولكن فلنعد إلى الموضوع– فقد عددنا أخطاءنا وهى تبرير لحياتنا الطريدة ، ولكن لما رأيناك رجلا يزينه حسن السمت، تجيد لغات كثيرة، كما ذكرت ذلك بنفسك، ولك حظ كبير من الكمال الذى نحتاج إليه فى ظروفنا الحالية.

الطريد الثانى : حقًا لأنك قبل كل شىء رجل منفى فإننا نعرض عليك دون الناس جميعًا. فهل ترضى أن تكون قائدنا؟ لتجعل من الضرورة نعمة فتعيش كما نعيش فى هذه البرية

الطريد الثالث : ماذا أنت فاعل؟ أتكون من زمرتنا؟ قل نعم وكن قائدنا جميعًا. وسوف نقدم لك الولاء. ونخضع لحكمك، ونجعلك قائدًا علينا وملكًا لنا.

الطريد الأول : ولكنك إذا احتقرت مجاملتنا، فلسوف تموت.

الطريد الثانى : لن ندعك تعيش لتتفاخر برفض ما عرضناه عليك.

فالنتين : إنى لأقبل عرضكم، ولسوف أعيش معكم، بشرط ألا تتعرضوا بهجومكم للنساء اللائى لا حول لهن ولا للمسافرين الفقراء.

الطريد الثالث : كلا، فنحن نكره، أمثال هذه الأعمال الوضيعة السافلة. تعال، هلم بنا، نقدمك إلى زمرتنا ونطلعك على جميع المغانم التى حصلنا عليها، ونحن نقدمها مع أنفسنا، لتكون رهن إشارتك.

(يتوجهون إلى الغابة)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

سور، له باب سرى، خلف قصر الدوق.. وفى الداخل جزء من الحديقة، يفصل السور عن برج مرتفع، وفى الخارج زقاق ضيق تكتنفه الأشجار... ليلة مقمرة.) بروتيوس يفتح الباب الخلفى ويدخل إلى الحديقة.)

بروتيوس : سبق لى أن خنت فالنتين، والآن يجب، بنفس القوة، أن أظلم ثوريو أيضًا .وتحت ستار مدحه أعطيت الفرصة لكى أجعلها تفضل حبى أنا .ولكن سلفيا فائقة الحسن، عظيمة الإخلاص، على حظ كبير من القداسة بحيث لا تغريها هداياى المتواضعة وإذا أقسمت يمين الولاء الصادق لها، فإنها تعيب على خيانتى لصديقى، وإذا تقدمت بعهودى إلى محراب جمالها، فإنها تلح على أن أفكر كيف حنثت بعهدى مع جوليا التى أحببت وعلى الرغم من إجاباتها الساحرة المفاجئة.. التى يفيض النزر اليسير منها على آمال المحب فإن حبى لها مثل الكلب كلما ركلته عاد يبصبص بذنبه ويضفى عليها من الإعزاز ألوانًا.

(ثوريو والموسيقيون يجيئون من الطريق) ولكن ها هو ذا ثوريو قادم، ويجب الآن أن نتوجه إلى نافذتها، وأن نبعث ببعض موسيقى المساء إلى سمعها.

ثوريو : (يدخل إلى الحديقة) كيف الحال الآن، يا سيد بروتيوس، هل تسللت قبلنا؟

بروتيوس : أجل، يا ثوريو الرفيق، فأنت تعلم أن الحب يتسلل ليخدم حيث لا يستطيع أن يتقدم.

ثوريو : أجل، ولكن آمل، يا سيدى، ألا يكون حبك لمن هنا...

بروتيوس : ولكن يا سيدى، أحب من هنا.. وإلا ما وجدتنى هنا.

ثوريو : **تحب من... سلفيا؟**

بروتيوس : **أجل، سلفيا.. ومن أجلك..**

ثوريو : **أشكرك على حبك من أجل نفسك، والآن، أيها السادة فلنأخذ فى العزف، ولتكن موسيقى مثيرة مشبوبة بالعاطفة.**

(يقف الموسيقيون تحت شرفة البرج، ويظهر صاحب نزل عجوز وجوليا متنكرة فى زى غلام، عند أول الزقاق.)

صاحب النزل : **والآن، يا ضيفى الصغير، أرى أنك مهموم، أناشدك أن تقول لى لماذا أنت مهموم؟**

جوليا : **ببساطة يا مضيفى، لأننى لا أستطيع أن أكون مبتهجًا.**

صاحب النزل : تعال، فسنبهجك.. وسأقودك إلى حيث تستمع إلى الموسيقى، وترى السيد الذى سألت عنه .

(يقتربان من الباب الخلفى)

جوليا : وهل سأسمعه وهو يتكلم؟

صاحب النزل : أجل.. سنسمعه.

جوليا : وسيكون هذا موسيقى

(الموسيقيون يعزفون)

صاحب النزل : أنصت. أنصت.

جوليا : أهو بين هؤلاء..؟

صاحب النزل : أجل.. ولكن صه دعنا نستمع إليهم.

(أغنية)

من هى سلفيا؟ وماذا تكون حتى يثنى عليها جميع العشاق؟ إنها طاهرة، جميله، حكيمة. وقد نفحتها السماء هذه النفحات حتى تثير بها الإعجاب أهى حنون بقدر ما هى جميلة؟ فالجمال يعيش على الحنان... والحب يتوجه إلى عينيها، يطلب منها العون على عماه ؛ فإذا حصل على العون، سكن إلى عينيها فدعنا نغن لسلفيا.. لأن سلفيا تفوق، تفوق كل كائن زائل يعيش على ظهر الأرض القاتم فلنقدم إليها طاقات من الغناء.

صاحب النزل : كيف الحال الآن. هل أنت أكثر حزنًا مما كنت قبل؟ كيف أنت يا رجل؟ ألا تحبك الموسيقى؟

جوليا : إنك مخطئ.. أن الموسيقى هو الذى لا يحبنى.

صاحب النزل : لماذا، أيها الشاب الجميل.

جوليا : إنه يخدع فى عزفه... يا أبتاه([٣٦])

صاحب النزل : كيف؟ أتقصد أنه ينشز فى لمس الأوتار؟

جوليا : لا ليس الأمر كذلك.. ولكن عزفه مع هذا خداع. حتى أنه ليقطع أوتار قلبى.

صاحب النزل : إن لك أذنًا مرهفة.

جوليا : أجل، تمنيت لو كنت أصم.. فإرهاف سمعى يثقل قلبى.

صاحب النزل : أراك لا تبتهج بالموسيقى..

جوليا : ولا بذرة منها إذا كان وقعها على الأذن نشازًا هكذا.

(تبدأ الموسيقى ثانية)

صاحب النزل : ما أحلى تحول النغم هذا فى الموسيقى.

جوليا : إن هذا التحول هو سر البلاء والحقد.

صاحب النزل : أتريدهم لا يعزفون، إلا نغمًا واحدًا أبدًا.؟ ولكن، أيها المضيف، هل هذا السيد بروتيوس الذى نتحدث عنه، يتردد دائمًا على هذه الشريفة؟

صاحب النزل : إنى أخبرك بما قاله لى غلامه لونس.. إنه يحبها حبًا يفوق كل تقدير.

جوليا : وأين لونس؟

صاحب النزل : ذهب يبحث عن كلبه، الذى سيقدمه غدًا، بأمر مولاه، هدية إلى سيدته.

جوليا : صه، قف جانبًا، الفرقة الموسيقية تنصرف

(يختبئان خلف شجيرة)

بروتيوس : (عند الباب الخلفى) يا سيد ثوريو، لا تخف فسوف أواصل التضرع لها، حتى تقول إن تدبيرى البارع فاق الحدود.

ثوريو : وأين نلتقى؟

بروتيوس : عند بئر القديس جريجورى.

ثوريو : وداعًا.

(ينصرف ثوريو والموسيقيون من الشارع الضيق)

(تفتح نافذة فى البرج وتظهر سلفيا فى الشرفة)

بروتيوس : سيدتى.. مساء الخير لعصمتك..

سلفيا : أشكركم على موسيقاكم، أيها السادة، من ذا الذى يتكلم؟

بروتيوس : شخص، يا سيدتى، لو أنك عرفت صدق قلبه وطهارته لسرعان ما تعرفينه من صوته.

سليفا : السيد بروتيوس.. كما يبدو لى.

بروتيوس : أنه السيد بروتيوس، أيتها السيدة الرقيقة، وخادمك...

سلفيا : وماذا تريد؟

بروتيوس : أن أقوم بتحقيق ما تريدين.

سلفيا : لك ما طلبت. فإن ما أريد هو هدا.. أن تبادر مسرعا إلى فراشك.. أيها الرجل المخاتل، الحانث بقسمه، المخادع، الغدار، أتظن أننى من السذاجة والبلادة بحيث تغوينى بتملقك، أنت الذى، أغويت الكثيرين بعهودك.. ارجع.. ارجع.. واطلب الصفح ممن أحبتك. أما أنا فإنى لأقسم بقمر هذا الليل الشاحب إننى بعيدة عن أن أجيبك إلى طلبك بعدا يؤهلنى لأن أحتقرك على تقربك المسئ إلى. بل أرانى سألوم نفسى بعد حين حتى على هذا الوقت الذى أنفقته فى التحدث إليك.

بروتيوس : إننى أسلم أيتها الحبيبة الجميلة. إننى أحببت سيدة، ولكنها ماتت.

جوليا : (جانبًا) كذب.. لو استطعت أن أفصح بذلك،.. فأنا على يقين من أنها لم تدفن.

سلفيا : هب أنها ماتت.. ولكن فالنتين صديقك على قيد الحياة، وأنت نفسك شاهد أننى له مخطوبة، أفلا تخجل من الإساءة إليه بإلحاحك على؟

بروتيوس : سمعت أيضًا أن فالنتين قد مات؟.

سلفيا : وعلى ذلك افرض أننى أنا أيضًا قد مت ولتتأكد أن حبى قد دفن معه فى قبره.

بروتيوس : أيتها السيدة الجميلة، دعينى أنشره من أطباق الثرى .

سلفيا : اذهب إلى قبر حبيبتك وانشر حبها من الثرى هناك أو على الأقل ادفن حبك فى قبرها.

جوليا : (جانبًا) لم يسمع هذا.

بروتيوس : سيدتى... إذا كان قلبك قاسيًا إلى هذا الحد.. فامنحينى صورتك من أجل حبى، صورتك المعلقة فى غرفة نومك.. فإلى هذه الصورة سأتوجه بالحديث، وبين يديها سأتنهد وأبكى.. وما دمت قد وهبت نفسك لآخر، فامنحينى مجرد طيف، وإلى طيفك.. سأبث صادق الحب..

جوليا : (جانبًا) إذا وهبتك نفسها فلسوف تخدعها، وتجعلها مجرد طيف مثلى.

سلفيا : إننى أعاف أن أكون تمثالك المعبود، يا سيدى، ولكن ما دام يوافق الخداع فى طبعك أن تعبد الأطياف وتمجد الصور الزائفة فابعث إلى فى الصباح، وأنا أرسل الصورة إليك. وعلى ذلك أتمنى لك راحة طيبة.

(تغلق نافذتها)

بروتيوس : كما يمضى الأشقياء سواد الليل فى انتظار إعدامهم فى الصباح.

(يغلق الباب الخلفى وينصرف من الطريق الضيق)

جوليا : أيها المضيف، ألا ننصرف؟

صاحب النزل : بحق السماء، كنت مستغرقًا فى النوم.

جوليا : أناشدك أين يقيم السيد بروتيوس؟

صاحب النزل : ويحك، فى بيتى. صدقنى، أظن أن الصبح كاد يتنفس.

جوليا : لا ليس الأمر كذلك.. ولكنها أطول ليلة سهرتها، وأثقلها على نفسى.

(ينصرفان)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

(إجلامور يسير فى الشارع الضيق – يقف عند الباب الخلفى)

إجلامور : هذه هى الساعة التى رجتنى فيها السيدة سلفيا أن أزورها لأعرف منها ما تريد. لابد أن هناك أمرًا عظيمًا تريدنى على تحقيقه... (ينادى) سيدتى.. سيدتي.

(تفتح النافذة وتظهر سلفيا مرة أخرى)

سلفيا : من ذا الذى ينادى؟

إجلامور :خادمك ، وصديقك ، امرؤ ينتظر أمر عصمتك .

سلفيا : يا سيد إجلامور ، سعدت صباحا ألف مرة .

إجلامور : ومثلها لك أيتها السيدة الجليلة.. وهأنذا أحضر مبكرًا، تنفيذًا لأمر عصمتك، لأعرف ما هى المهمة التى تشائين أن تأمرنى بها؟

سلفيا : يا إجلامور، إنك سيد كريم – ولا تظننى أمتدحك فإننى لأقسم إننى لا أقول غير الحق.. فأنت شجاع، حكيم، حى الضمير، كامل التهذيب، وأنت لا تجهل ما أكنه نحو فالنتين، المنفى، من إحساس عزيز صادق... وأنت لا تجهل أيضًا كيف أن أبى يريد أن يرغمنى على الزواج من ثوريو التياه بنفسه، الذى أمقته من أعماق نفسى. ولقد كابدت الحب وسمعتك تقول، إن حزنًا لم ينفذ إلى شغاف قلبك، كالحزن الذى شعرت به عندما توفيت حبيبتك المخلصة، التى تعهدت عند قبرها أن تتبتل يا سيد إجلامور.. إننى أريد أن أرحل إلى فالنيتن، فى منتوا، فقد سمعت أنه يقيم فيها، ولما كانت الطرق تكتنفها مخاطر، فإننى لأرغب فى صحبتك الجليلة، وسأطمئن إلى إيمانك وشرفك. ولا تخف من سخط أبي، يا إجلامور، وإنما فكر فى لوعتى.. لوعة سيدة.

وفكر فى عدالة فرارى من هنا،

إنقاذًا لشخصى من زواج غير شريف إلى أبعد حد، زواج تلعنه السماء والأقدار فتجزيه بكوارثها.

وإنى لأطلب إليك بقلب مفعم بالأحزان كما تفعم البحار بالرمال، أن تكون فى صحبتى وأن ترافقنى فى رحلتى فإذا لم تلب الطلب فاحتفظ بما قلته لك سرًا مكنونًا حتى أستطيع أن أجازف بالرحيل منفردة.

إجلامور : يا سيدتى إننى أشفق كثيرًا على أحزانك وما دمت أعلم أنها تقوم على دعامة من الفضيلة فإنى أوافق على أن أرافقك، ولن أحفل كثيرًا بما يقع لى، ولكنى أرجو أن يكون الخير كله من نصيبك... متى ترحلين؟

سلفيا : هذا المساء المقبل.

إجلامور : وأين ألقاك؟

سلفيا : فى دير القس الأخ باترك، حيث أنوى أن أقوم بالاعتراف المقدس.

إجلامور : لن أخذل عصمتك: عمى صباحًا. يا سيدتى الجليلة.

(يعود أدراجه إلى الزقاق)

سلفيا : عم صباحًا، أيها السيد الرقيق إجلامور.

(تغلق نافذتها)

(تمر ست ساعات أو سبع)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

(لونس وكلبه فى أثره يتبعه، يتقدم من الباب الخلفى، ويلقى بنفسه تحت شجيرة، وهو يزمجر.)

لونس : (إلى الكلب)... عندما يقوم الخادم لسيده بدور الكلب الحقير فان ذلك، لو تأملت، ينذر بالشر .فهذا أنت كلب ربيته، مذ كان جروًا، كلبٌ أنقذته من الغرق، عندما غرق ثلاثة أو أربعة من إخوته وأخواته الصغار ولما تتفتح عيونها بعد. لقد علمته لقد أرسلنى مولاى، لكى أقدمه هدية إلى السيدة سلفيا، وما كدت أدخل غرفة الطعام، حتى سبقنى إلى صحافها، فسرق رجل الديك المقدم لها.. إنه لعمل وضيع، من كلب لا يحتفظ برزانته فى جميع المحافل. ليته كان، كما يحق لى أن أقول، كلبًا أصيلا ليصبح خبيرًا(٣٧) بجميع الأشياء.. ولو لم يكن لى نصيب من العقل أكثر مما له، مما جعلنى أحتمل تبعة الخطأ الذى اقترف. لكان الشنق بلا شك فيما أرى جزاء فعلته، وأنا متأكد تأكدى من أننى على قيد الحياة، أنه استحق أشد العذاب، والحكم لكم.. فلقد زج بنفسه فى صحبة ثلاث كلاب أو أربعة مهذبة كانت ترقد تحت مائدة الدوق فلم يكد يمضى من الوقت إلا مقدار ما يسمح بالتبول حتى كانت الرائحة قد زكمت أنوف كل من بالقاعة.. قال واحد.. اطردوا الكلب... وقال غيره أى كلب هذا... وقال الثالث. اخرجوه بالسوط... وقال الدوق اشنقوه.. أما أنا وقد عرفت هذه الرائحة من قبل فقد أدركت أنه "كراب" فذهبت إلى الرجل المكلف بضرب الكلاب بالسوط وقلت له: أيها الصديق أتنوى أن تضرب الكلب بالسوط فعلا؟ قال.. أجل.. حقًا سأفعل، قلت، إنك تسئ إليها إساءة أفدح لأنى أنا الذى اقترفت الأمر الذى تعلم، فلم يتماد فى مناقشتى بل اخرجنى من القاعة ضربًا بالسوط... فكم سيدًا يقوم بذلك من أجل خادمه؟ كلا وإنى لأقسم إننى ربطت من أجل سقط لحم حيوان

سرقه، ولولا ذلك لقتل، لقد عرضت نفسى للسخرية والسخط من أجل ما اقترف هو من ذنب. ولولا ذلك لدفع الثمن غاليًا. إنك لا تفكر فى ذلك الآن.. كلا وإننى لأذكر المكر الذى مكرته، عندما استأذنت من السيدة سلفيا. ألم آمرك أن تراقبنى وأن تحاكينى فيما أعمل؟ فمتى رأيتنى أرفع ساقى وأتبول على ثياب سيدة رقيقة؟ هل رأيتنى مرة أقوم بمثل هذه اللعبة؟.

(بروتيوس وجوليا متنكرة فى زى غلام يمران)

بروتيوس : سباستيان هو اسمك: إننى أحببتك كثيرًا ، وسأستخدمك فى بعض المهام فى الحال.

جوليا فى أية مهمة ترضيك، سأبذل ما فى وسعى.

بروتيوس : آمل أن تستطيع.. (يلمح لونس) كيف الحال الآن، يا فلاح يا ابن الفاعلة. أين كنت تتصعلك هذين اليومين؟

لونس : صدقنى يا سيدى، لقد حملت إلى السيدة سلفيا الكلب كما أمرتنى.

بروتيوس : وماذا قالت عن جوهرتى الصغيرة؟

لونس : والله قالت إن كلبك وضيع، وتقول لك إن الشكر الوضيع هو كل ما يلائم هذه الهدية من شكر.

بروتيوس : ولكن قبلت منى كلبى؟

لونس : كلا، طبعا، لم تقبله. وها قد أرجعته معى.

بروتيوس : ماذا؟ هل قدمت إليها هذا الكلب، على أنه هدية منى.

لونس : أجل يا سيدى، فإن الآخر السنجابى، سرقة منى فى السوق الغلمان الأشقياء الذين يستحقون الشنق؛ ومن أجل قدمت إليها كلبى، الذى يكبر كلبك حجمًا عشر مرات، ولذلك هو هدية أكبر.

بروتيوس : اذهب، اغرب من هنا، وابحث عن كلبى حتى تعثر عليه، وإلا فلا ترنى وجهك مرة أخرى، اذهب، قلت لك. أباق حيث أنت لتثيرنى؟

يا له من عبد ما يزال يفضحنى.

(ينصرف لونس يتبعه كراب) سباستيان، إننى أضعك موضع التكريم، وذلك لأننى من جهة فى حاجة إلى شاب مثلك يستطيع بشىء من الفطنة أن ينهض بأعمالى لأننى لا أثق بذلك البليد

الغبى الجلف، ومن جهة أخرى. وأهم، أكرمتك من أجل مظهرك وخلقك اللذين إذا لم تخدعنى فراستى يشهدان بكرم المحتد والجاه، والإخلاص ولتعلم إذن أننى من أجل ذلك أكلفك بهذا الأمر، وهو أن تذهب فى الحال لتأخذ هذا الخاتم معك، ولتسلمه إلى السيدة سلفيا.. فلقد أعطتنيه سيدة كلفت بى حبًا.

جوليا : يبدو أنك ما أحببتها، وما أحببت تذكارها (تأخذ الخاتم) لعلها ماتت؟

بروتيوس : كلا... أظنها مازالت حية.

جوليا : يا أسفاه..

بروتيوس : لماذا تجهر بالأسف؟

جوليا : لا أملك إلا أن أرثى لها.

بروتيوس : ولماذا ترثى لها ؟

جوليا : لأننى أعتقد أنها أحبتك، كما تحب أنت السيدة سلفيا.. إنها تحلم بمن نسى حبها، وأنت تهيم بالتى لا تعبأ بحبك. من المؤسف أن يكون الحب متناقضًا هكذا وتفكيرى فى كل هذا يجعلنى أنوح "واحسرتاه"

بروتيوس : فليكن، أعطها هذا الخاتم، وسلمها فى الوقت نفسه هذه الرسالة (يشير) ذلك مخدعها.. قل لسيدتى إننى أستنجزها وعدها بصورتها السماوية.

فإذا فرغت من مهتمك، فأسرع إلى غرفتى، حيث تجدنى وحيدًا حزينًا

(ينصرف)

جوليا : كم امرأة تستطيع القيام بمثل هذه المهمة، وأأسفاه لك يا بروتيوس المسكين، لقد دعوت ثعلبًا ليكون راعيًا لغنمك، وواحسرتاه على أنا البلهاء المسكينة لماذا أشفق عليه، وهو الذى يحتقرنى من أعماق قلبه؟ أنه يحتقرنى لأنه يحبها، وعلى أنا أشفق عليه، لأننى أحبه.. وهذا الخاتم هو الذى أعطيته إياه عندما فارقنى

ليرتبط بذكرى حبى الصادق.

والآن هل كتب على أنا الرسول التعس

أن أتوسل إليها لتقبل ما لا أستطيع أنا أن أحصل عليه.

سلفيا وأرسلت إليه هذا الدبوس بيدك إلى لأقبل رده إليّ.

لأنني أستمتع بخيالها الذي ورثته عن أمها، على أنه إياه عند رحيله ومع أنني إصبعية الوفاء، قلت لنفسي حرصه الخالص في إلا أستطيع أن أكون تعليقًا إلى صاحبة الجلالة الإلهة. أثبت إنني خائنة مخادعة لنفسي ومع

جوليا ذلك فسوف أكرر الوعد إليها من أجله،

سلفيا ولكن ماذا تقول، فالله يعلم إنني لا أرجو له التوفيق... (سلفيا تأتي من

جوليا الباب الخلفي) يأتيها، الأنيقة الرقيقة. صباح الخير أناشدك أن تكوني واسليتيد إلى الرقيقة كان المسكينة أتى شوقي إلى سيلفيا كثيرًا.

سلفيا : أتعرفها تريد منها، إذا كنت أنا إياها؟

جوليا : إنك لتعرفها كليًا أعرف أنا نفسي يحلو لك الطلب إنني بكيت منه أن الرسالة القرينة تبعثك لبلهكرت في أزرائها.

سلفيا : أكين؟ الظن أنها تعتقد أن بروتيوس قد هجرها.

جوليا : أظنها يعتقد الذي يرهنتيو سيعشيا حزينًا.

سلفيا : أأرسلت في حياتك جانبًا سورة؟

جوليا : كانت الجميلة سيدتي مما هي الآن. كانت في نظري مثلك

سلفيا جميلة) أوامر لقد أتت سلاوي تكان رهنك حياتي الخالص منذ أهملوتة) الظهور في عطائها يدك هذه وانقل إليه قولي، إن واحدة اسمها وطالما تنقلها فالذي المكان بيأحق وبغيفته من لفخة اللطيف، أذبلت

جوليا الربيع ورد تخديطي واغتصار الرسالة من الفوبك من لاحتياالذي يا حبتي أصفقت الآن بالمراوية ثوبة أخرى (تستردها بسرعة وتقدم

سلفيا غيرها) طولها في الرسالة الموجهة إلى عصمتك.

جوليا : أكاد لتكون عني أتظن فقراتك الفورة عيدة الأخرى عندما كانت تمثل

جوليا مهلا جيا كانت أيتها السيدة الفاضلة الشباب لا أقوا خبيني. المرأة، فزينت بلبس

سلفيا زدا من السيدة جوليا، فحكم الرجال جميعا بأنه يلائمني تماما،

(تكلق اللولو لما القد فضأولها لآخرها)

لرهكأنك طرفت أفهارا تكامو لكون في مثل طولي.

فإلقى لجعلها أنهم ذا تشرتكي المكاتيق،

لإلفرة بمظهر تقد دموًا حزينًا يكراقها دور "أريادن"(٣٨)

بالفسز والبقر الذي مزقت أنا به رسالته.

جوليا مرنيا أجل تنقض أنه ثيقيوس إلى لعهصوصوظر هذا للغافمثلت الدور وأسبغت

عليه الحياة وأنا أمثله بدموعى... حتى تأثرت سيدتى المسكينة، ونشجت فى الوقت نفسه بالبكاء ألا فليخترمنى الموت. إذا لم أشعر، وأنا أفكر فيها بحزنها وكأنه حزنى أنا.

سلفيا : إنها ترعى لك جميلك، أيها الشاب الرقيق، واحسرتاه على السيدة البائسة، منبوذة مهجورة، فأنا نفسى أبكى كلما فكرت فى كلماتك.. والآن أيها الشاب، هاك صرة من المال، انفحك بها من أجل سيدتك الجميلة، لأنك تحبها، وداعًا.

جوليا : وسوف تشكرك هى على ذلك.

إذا قدّر لك أن تعرفيها.

(تنصرف سلفيا) سيدة شريفة فاضلة، وديعة جميلة.. أرجو أن يفتر تودد سيدى لها ما دامت تحترم حب سيدتى إلى هذا الحد الكبير.. واحسرتا، كم يعبث الحب بنفسه.. ها هى ذى صورتها.. (تجلس) ولأتأمل الأمر.. أظن أنه إذا كانت لى مثل هذه القبعة، لبدا وجهى رائع الجمال كوجهها، بلا أدنى فرق.

ومع ذلك فإن الرسام جعلها أزهى مما هى قليلا، إلا إذا كنت أنا أزهى بنفسى كثيرًا.

وشعرها بنى اللون، أما شعرى فأصفر خالص، إذا كان هذا فى نظر حبه اختلافًا خطرًا فسوف أحصل على شعر مستعار، باللون نفسه: وعيناها رماديتان كالبللور، وكذلك عيناى أجل، ولكن جبهتها ضيقة بينما جبهتى عالية ما الذى فيها يبعث على اهتمامه ولا أستطيع مثله لنفسى؟

آه لو لم يكن الحب الشغوف إلهًا أعمى!

(تنهض) تعال.. أيها الطيف تعال، وخذ هذا الطيف الآخر معك، لأنه غريمك يا أيها الشكل الذى لا حس له،

سوف تعبد وتقبل وتحب وتعشق

ولو كان عنده تعقل فى وثنيته لوجب أن تكون مادتى أنا الحية هى التمثال الذى يعبد مكانك..

سأعاملك برفق من أجل سيدتك، لأنها عاملتنى بذلك.

وإلا قسمًا بكبير الآلهة[٣٩] لسملت عينيك غير المبصرتين، لأجعلن سيدى ينصرف عنك.

(تتصرف حاملة الصورة)

الفصل الخامس

المنظر الأول

دير قرب ميلان فى المساء

(إجلامور فى عباءة وفى قدمه مهماز، ينتظر سلفيا)

إجلامور : بدأت الشمس تُذَهّبُ الجانب الغربى من السماء، وأزفت الساعة المعينة التى كان على سلفيا، أن تلقانى فيها عند دير القس باتريك لن تخلف الميعاد لأن المحبين لا يخلفون مواعيدهم إلا بأن يأتوا قبل الميعاد من فرط ما يستعجلون سفرتهم (سلفيا تقترب مسرعة) انظر، ها هى ذى تأتى. أيتها السيدة، مساء سعيدًا..

سلفيا : آمين، آمين فلنتابع السير، يا إجلامور الطيب. هلم متى نبلغ الباب الخلفى بالقرب من سور الدير لأنى أخشى أن يكون بعض الجواسيس على أثرى.

إجلامور : لا تخافى إن الغابة تبعد أقل من ثلاثة فراسخ منا فإذا ما قطعناها أصبحنا فى مأمن.

(يغادران الدير)

الفصل الخامس

المنظر الثاني

(ميلان: غرفة فى قصر الدوق – ثوريو، بروتيوس، وجوليا "متنكرة فى شخص سباستيان" تقوم على خدمته.)

ثوريو : يا سيد بروتيوس، ماذا قالت سلفيا عن عرضى الزواج منها؟

بروتيوس : وجدتها يا سيدى أرق مما كنت

ومع ذلك فهى ترى فى شخصك عيوبًا.

ثوريو : ماذا؟ أترى ساقى طويلة جدًا؟

بروتنيوس: لا. بل إنما تراها قصيرة جدًا..

ثوريو : سأنتعل حذاءًا طويلا لأجعلها أقرب إلى الاستدارة فلا تشكو طولا ولا قصرًا.

جوليا : (جانبًا) إن الحب لا يرغب فيما يكره.

ثوريو : وماذا قالت عن وجهى؟

بروتيوس : قالت إنه وجه جميل براق(٤٠).

ثوريو :كلا، إن العابثة لا تكذب، فوجهى قائم.

بروتيوس : ولكن اللآلئ براقة والمثل القديم يقول إن الرجال السود لآلئ فى أعين الجميلات.

جوليا : (جانبًا) هذا حق، فان مثل هذه اللالئ تخطف أبصار السيدات، فتذهب بها وأننى لأفضل أن أغمض عينى عن النظر إليها.

ثوريو : وكيف تقدر حديثى؟

بروتيوس : تقديرًا سيئًا، عندما تتحدث عن الحرب.

ثوريو : ولكن، عندما أتحدث عن الحب والسلام والأمن

جوليا : (جانبا) إنها تقدرك تقديرًا أحسن حين تلتزم الصمت.

ثوريو : وما تقول عن شجاعتى؟

بروتيوس : يا سيدى، ليس عندها أدنى شك فى هذا الأمر.

جوليا : (جانبًا) لا تحتاج إلى شك ما دامت تعلم علم اليقين أنها الجبن بعينه.

ثوريو : وماذا تقول عن حسبى؟

بروتيوس : إنك انحدرت من نسل شريف.

جوليا : (جانبًا) حقا كان الانحدار من سيد شريف إلى أبله.

ثوريو : أتقدر ما أملك؟

بروتيوس : أجل، وتشفق عليك مما يتملكك.

ثوريو : ولماذا؟

جوليا : (جانبًا) لأن مثل هذا الحمار يملكها.

بروتيوس :لأن ما يتملكك فوق كل سيطرة.

جوليا : ها هو الدوق قادم.

(يدخل الدوق مسرعًا)

الدوق : كيف حالك الآن، يا سيد بروتيوس. كيف حالك، يا ثوريو.. من منكما رأى السيد إجلامور، لآخر مرة؟

ثوريو : لم أره.

بروتيوس : ولا أنا.

الدوق : وهل رأيتما ابنتى؟

بروتيوس : ولا هى.

الدوق : إذن لقد فرت إلى ذلك الجلف فالنتين، وإجلامور فى صحبتها. هذا حق.. لأن القس الأخ لورنس قابلهما هما الاثنين، وهو يقوم بكفارة، متجولا فى الغابة، ولقد تأكد من شخص إجلامور، ورجح أنها هى، ولكنه لم يتأكد من شخصها، لأنها كانت مقنعة.أضف إلى ذلك أنها كانت قد اعتزمت الاعتراف فى دير القس باتريك، هذا المساء، ولكنها لم توجد هناك.

فكل هذه الملابسات تؤكد فرارهما من هنا.

لذلك أناشدكما ألا تضيعا الوقت فى الحديث، وامتطيا جواديكما على الفور وقابلانى عند الربوة التى فى سفح الجبل المؤدى إلى منتوا، حيث قد فرا. أسرعا أيها السيدان الطيبان. واتبعانى

(يسرع خارجًا)

ثوريو : يا لها من فتاة طائشة

تفر من حظها السعيد، وهو يتبعها:

سألحق بها. يدفعنى الانتقام من إجلامور أكثر مما يدفعنى حب سلفيا النزقة

(يتبع الدوق)

بروتيوس : أما أنا فسألحق بهما حبًا فى سلفيا لا كرهًا لإجلامور، الذى يصحبها.

(يتبع ثوريو)

جوليا : أما أنا فسألحق بهم لإفساد ذلك الحب لا كرهًا فى سلفيا التى فرت فى سبيل الحب.

(تتبع بروتيوس)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

(سلفيا بين أيدى الطريدين)

الطريد الأول : تجلدى تجلدى،

وكونى صبورة: يجب أن نسير بك إلى قائدنا.

سلفيا علمتنى خطوب أفدح من هذا ألف مرة كيف أتجمل لهذا الخطب بالصبر.

الطريد الثانى : تعالى سر بها بعيدًا.

الطريد الأول : أين السيد الذى كان معها؟

الطريد الثالث : لم نستطع اللحاق به، لأنه سريع العدو ولكن موسى وفاليريوس اتبعاه اذهب معها إلى الطرف الغربى للغابة فهناك قائدنا وسنلحق نحن بالذى فرّ. فالغابة محاصرة فمن ذا الذى يستطيع الهرب.

الطريد الأول : تعالى، يجب أن آخذك إلى كهف قائدنا..لا تخافى، إن له عقلا خليقًا بالإكبار ولن يسئ معاملة امرأة.

سلفيا : اشهد يا فالنتين.. أننى أحتمل كل هذا من أجلك.

الفصل الخامس

المنظر الرابع

(يدخلان الغابة: فالنتين يسير نحوهم ببطء على الطريق)

فالنتين : عجبًا كيف تتولد العادةُ فى المرء من ممارسة عمل من الأعمال.
لقد أصبحت أحتمل هذه الصحراء القاتمة والغابات المهجورة وأراها خيرًا من المدن المزدهرة الآهلة: هنا أستطيع أن أخلو بنفسى لا يرانى أحد، ألَحَّن أشجانى وأشدو وأتغنى بهمومى على أنغام العندليب الشجية.
يا أيها المقيم فى قلبى
لا تترك الدار مقفرة على هذا النحو أمدًا طويلا حتى لا يشيع فيها الخراب وينهار بناؤها. ولا تترك أثرًا يدل عليها.
أصلحى من حياتى الخربة بلقائك يا سلفيا أيتها الحورية الرقيقة، أسعدى حبيبك البائس .
(يستغرق فى تأملاته، تسمع صيحات ودقات طبول).
ما هذا التصايح، وتلك الجلبة اليوم؟
إنهم زملائى الذين يعطون لرغباتهم سلطان القانون، قد تصيدوا مسافرًا شقيًا،
إنهم يحبوننى كثيرًا؛ ومع ذلك فعلى أن أعمل الكثير، لكى أكبح جماحهم الوحشى..
تنح يا فالنتين، من ذا الذى يجئ إلى هنا؟ (يتنحى. تأتى سلفيا مشعثة من ناحية الغابة، يتبعها بروتيوس وجوليا "متنكرة فى شخص سباستيان"

بروتيوس : مولاتى، إن هذا الصنيع قمت به من أجلك، وإن كنت لا تقدرين شيئًا يعمله خادمك، فلقد عرضت حياتى للخطر، إنقاذًا لك ممكن كاد يغتصب شرفك وحبك فجازنى على عملى، نظرة جميلة واحدة وأنا لا أستطيع أن ألتمس منك هبة أقل من هذه، وأنا على يقين من أنك لا تستطيعين أن تمنحى أقل منها.

فالنتين : (جانبًا) ما أشبه هذا بالحلم إننى أرى.. وأسمع أيها الحب، أعرنى الصبر لكى احتمل برهة.

سلفيا : ويلى من بائسة شقية.

بروتيوس : كنت شقية فى أن أحضر يا مولاتى

ولكنى جعلتك بحضورى سعيدة.

سلفيا : إن قدومك جعلنى أشقى شقاء ليس بعده شقاء

جوليا (جانبًا) وأنا كذلك عندما يقترب من حضرتك

سلفيا : لو أنى وقعت فريسة لأسد جائع لفضّلْتُ أن يتخذنى الوحش طعامًا

لإفطاره على أن ينقذنى بروتيوس المخادع.

أيتها السماء احكمى، كم ذا أحب فالنتين.

إن حياته عزيزة على كنفسى.

وبقدر ما أعزه إعزازًا لا مزيد عليه فإننى أمقت بروتيوس المخادع الحانث

بعهده...

اغرب ولا تلح على مرة أخرى.

بروتيوس : وأى خطير من الأعمال ولو كان يدنى من الموت لا أقوم به،

من أجل نظرة واحدة منك.

إنها اللعنة فى الحب التى لا يزال يؤيدها الواقع... أن يرغب النساء عن

حب الذين يتدلهون فيهن.

سلفيا : بل عندما يرغب بروتيوس عن حب التى تتدله فى حبه.

أعد قراءة قلب جوليا أول حب لك وأفضله.

حسبك الذى نثرته فأحلته إلى ألف يمين من أجلها.

ثم هبطت بهذه الإيمان الألف إلى درك الحنث.

لم يعد لك عهد ولا إيمان

تتوجه بهما إلى لتحبنى اللهم إلا إذا كان لك قلبان.

وهذا أسوأ جدًا من لا شىء.

فخير لك أن تكون بلا قلب أصلا من أن يكون لك أكثر من قلب واحد.

لأن القلب الواحد كثير جدًا بوحدته

يا أيها الخائن لصديقه الصدوق

بروتيوس : من الذى يحترم الصداقة فى شرعة الحب؟

سلفيا : الكل إلا بروتيوس.

بروتيوس : كلا. إذا لم تستطع رقة الروح فى الألفاظ المؤثرة، أن تحولك إلى موقف أسلس، فسوف أخطبك، كما يفعل الجندى بحد السيف،
بل أحبك ضد طبيعة الحب نفسه.. آخذك غصبًا.

سلفيا : يا للسماء.

بروتيوس (يمسكها) سأكرهك على التسليم لرغبتى .

بروتيوس : (يثب إليه) أيها الوغد ارفع هذه اليد القاسية الجلفة، أيها الصديق الذى لا يعرف حق الصداقة.

بروتيوس : (متراجعًا) فالنتين.

فالنتين : أيها الصديق الوضيع الذى لا عقيدة له ولا حب عنده، هكذا أصدقاء اليوم أيها الرجل الخائن.
لقد خيبت آمالى، ولولا أنى رأيت بعينى ما صدقت. لست أجرؤ الآن على الزعم بأن لى صديقًا على قيد الحياة، فوجودك تكذيب لهذا الزعم.
إذ من ذا الذى يوثق به، إذا كانت يمنى المرء تحنث بعهدها لقلبه؟
يا بروتيوس، يؤسفنى أننى لا أستطيع أن أثق بك بعد الآن، بل إننى لأرى العالم كله غريبًا عنى من أجلك. إن الجرح الذى يصيب شخصى هو أعمق الجروح. وألعن الأزمان هو الزمن الذى يجد فيه المرء أن الصديق هو شر الأعداء جميعًا..

بروتيوس : إنى لمضطرب من خجلى وإثمى فاصفح عنى يا فالنتين. إذا كان الحزن الصادر من القلب فدية كافية لما اقترفت من خطأ فى حقك.
فإننى أقدمه هنا، وإننى لصادق فى ألمى بمقدار ما يمكن أن أكون صادقًا أبدا.

ڤالنتين : هذا حسبى إذن، وهأنذا أتلقاك مرة أخرى كما أتلقى الرجل الأمين، والذى لا يكتفى بالندم ليس من أهل السماء ولا من أهل الأرض،
لأن أولئك وهؤلاء يرضيهم الندم.
بل إن التوبة لتخفف من غضب الله نفسه.
ولكى يظهر لك حبى واضحًا حرًا،
فإننى أمنحك كل حق كان لى فى سلفيا.

جوليا : يا لى من شقية (يغشى عليها)

بروتيوس : انظر الغلام.

فالنتين : ويحك يا غلام ما خطبك...
ماذا جرى؟ ارفع رأسك.. تكلم..

جوليا : يا سيدى. إن مولاى قد أمرنى
بأن أسلم خاتمًا للسيدة سلفيا
ولقد قصرت فى تنفيذ هذا الأمر لمجرد إهمالى.

بروتيوس : أين هذا الخاتم يا غلام.

جوليا : هذا هو.

بروتيوس : كيف.. ما هذا (يتناول الخاتم)
إن هذا هو الخاتم الذى أعطيته لجوليا

جوليا : أناشدك الرحمة يا مولاى، لقد أخطات. هذا هو الخاتم الذى أرسلت أنت
إلى سلفيا (تقدم خاتمًا آخر)

بروتيوس : ولكن كيف حصلت على هذا الخاتم؟
لقد قدمت هذا الخاتم إلى جوليا عند رحيلى.

جوليا : وجوليا نفسها هى التى أعطتنى إياه.
وجوليا نفسها هى التى أحضرته إلى هنا.

بروتيوس : كيف... جوليا؟

جوليا : انظر إلى التى كانت محور أيمانك جميعها وحافظت عليها فى شغاف
قلبها. وكم اقتلعت جذورها بالحنث يا بروتيوس.
ألا فلتستح من هذا اللباس الذى ترانى فيه؟
يجب أن تخجلى إذا كان الخجل لم يمت بعد لأننى ارتديت هذه الثياب
التى لا تليق بى متنكرة فى سبيل الحب، وإنها لهفوة أصغر فى عرف
الأدب،
أن تتحول الناس إلى رجال فى لباسهن
من أن يبدل الرجال عقولهم.

بروتيوس : من أن يبدل الرجال عقولهم؟ هذا حق.. يا للسماء..
أن الإنسان ليصبح كاملا، إذا ثبت على عهده، وهفوة واحدة تغمره
بالأخطاء وتدفعه لاقتراف كل خطيئة، بل إن الحنث بالعهد ليغرى بالآثام
قبل أن نبدأ فيه. ماذا فى محيا سلفيا ليس هناك ما هو أنضر منه فى وجه
جوليا لو أنى نظرت إليه مخلصًا.

فالنتين : تعال، تعال.. فليمد كل منكما كفه

(يعقد كفيهما) دعنى أتبرك بأن أحقق هذا الختام السعيد، فمن المؤسف أن يلبث صديقان مثلكما عدوين دهرًا طويلا.

بروتيوس :اشهدى، أيتها السماء، لقد حققتُ أمنيّتى إلى الأبد.

جوليا : وأمنيتى أنا أيضًا.

(يظهر الطريدون، يجرون الدوق وثوريو)

الطريد : غنيمة... غنيمة... غنيمة..

فالنتين : أمرتكم أن تكفوا.. إنه مولاى الدوق.. يرحب بسموك رجل مغضوب عليه الطريد فالنتين..

الدوق : السيد فالنتين..

ثوريو : هذه هى سلفيا هناك.. وسلفيا لى

(يتجه نحوها)

فالنتين : مكانك، يا ثوريو، وإلا فواجه الموت.. ولا تقترب من ثورة غضبى. ولا تقل إن سلفيا لك.. وإذا قلتها مرة أخرى فلن تراك فيرونا على قيد الحياة .وها هى ذى تقف هنا، حاول أن تأخذها أو تلمسها. إنى أتحداك أن تلامس أنفاسك حبيبتى

ثوريو : يا سيد فالنتين، إننى لا أهتم بها، وإنه لرجل أبله ذلك الذى يعرض حياته للتلف من أجل فتاة لا تحبه وأنا لا أطالب بها لنفسى، ولذلك فهى لك.

الدوق : ما أشد انحطاطك ونذالتك، لتصطنع معها هذه الوسائل، ثم تتركها لمثل هذه الملابسات البسيطة (يشيح بوجهه عنه) والآن قسمًا بمجد أجدادى إننى أثنى على روحك العالية يا فالنتين، وأراك جديرًا بحب إمبراطورة ولتعلم إذن إننى الآن أنسى كل ما سلف وأطمس على كل ضغينة وألغى أمر نفيك وأعيدك إلى الوطن وأقرر الحقيقة الجديدة التى استخلصتها فى أمر مزاياك التى لا تضارع بقولى:

"يا سيد فالنتين أنت رجل شريف، من أصل كريم، خذ سلفيا التى تحب لأنك تستحقها" ..

فالنتين : إننى أشكر سموك، فضلك أسعدنى، وأنا الآن أرجوك من أجل ابنتك أن تولينى معروفًا واحدًا أطلبه إليك.

الدوق : سأوليك إياه من أجلك أنت مهما يكن.

فالنتين : هؤلاء المنفيون، الذين حافظتُ عليهم، رجال يتحلون بصفات عالية..
اصفح عما اقترفوه هنا ودَعْهم يعودوا من منفاهم..
إنهم، وقد صلح أمرهم، مهذبون، يملأ نفوسهم الخير، ويصلحون للمناصب الرفيعة، يا مولاى الجليل،

الدوق : لقد ظفرت بما سألت فهأنذا أصفح عنهم وعنك.
تصرف فى أمرهم فأنت أدرى بأقدارهم.. تعال هلم بنا ولنعزف جميع الأنغام على السواء..
أنغام النصر والفرح، وأنغام الجد الذى لا يضارعه جد.

فالنتين : وفى أثناء انصرافنا سأتجاسر فى حديثنا لأجعل سموك تبتسم...
ما رأيكم فى هذا الغلام يا مولاى؟

الدوق : أعتقد أن فى الغلام خفة ورشاقة، إن وجهه ليحمر خجلا.

فالنتين : أؤكد لك يا مولاى أنه أجمل من أن يكون غلامًا..

الدوق : ماذا تعنى بهذا القول؟

فالنتين : إذا سمحت فسوف أنبئك بخبره. ونحن نسير حتى تتعجب مما قد حدث.
تعال يا بروتيوس، إن عقابك أن تستمع إلى وأنا أقص قصة حبك التى أميط عنها اللثام.. فإذا ما تم لى ذلك فان يوم زواجنا سيكون يوم زاوجك ايضًا..
مأدبة واحدة ودارًا واحدة، وسعادة واحدة متبادلة.
(يتوارون عن الأنظار فى الطريق)

الفهرس

مقدمة ٤

أشخاص المسرحية..... ٦

الفصل الأول المنظر الأول ٨

الفصل الأول المنظر الثاني..... ١٦

الفصل الأول المنظر الثالث..... ٢١

الفصل الثانى المنظر الأول..... ٢٤

الفصل الثانى المنظر الثانى ٢٩

الفصل الثانى المنظر الثالث ٣٠

الفصل الثانى المنظر الرابع..... ٣٣

الفصل الثانى المنظر الخامس ٤٠

الفصل الثانى المنظر السادس ٤٣

الفصل الثانى المنظر التاسع ٤٥

الفصل الثالث المنظر الأول..... ٤٨

الفصل الثالث المنظر الثاني ٦٣

الفصل الرابع المنظر الأول ٦٦

الفصل الرابع المنظر الثاني..... ٦٩

الفصل الرابع المنظر الثالث..... ٧٤

الفصل الرابع المنظر الرابع ٧٦

الفصل الخامس المنظر الأول ٨٢

الفصل الخامس المنظر الثاني.....٨٣

الفصل الخامس المنظر الثالث.....٨٦

الفصل الخامس المنظر الرابع ٨٧

رقم الإيداع ١٩٩٣/٨٤٨٧

الترقيم الدولى ISBN 977-02-4223-3

٤٣٤/ ٩١/ ١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)